كيف تربي أبناءك

ثلاثون قاعدة

توصلك إلى أحسن وأنجح الطرق في التربية

«عمل يستحق أن يقرأ ويستفاد منه»

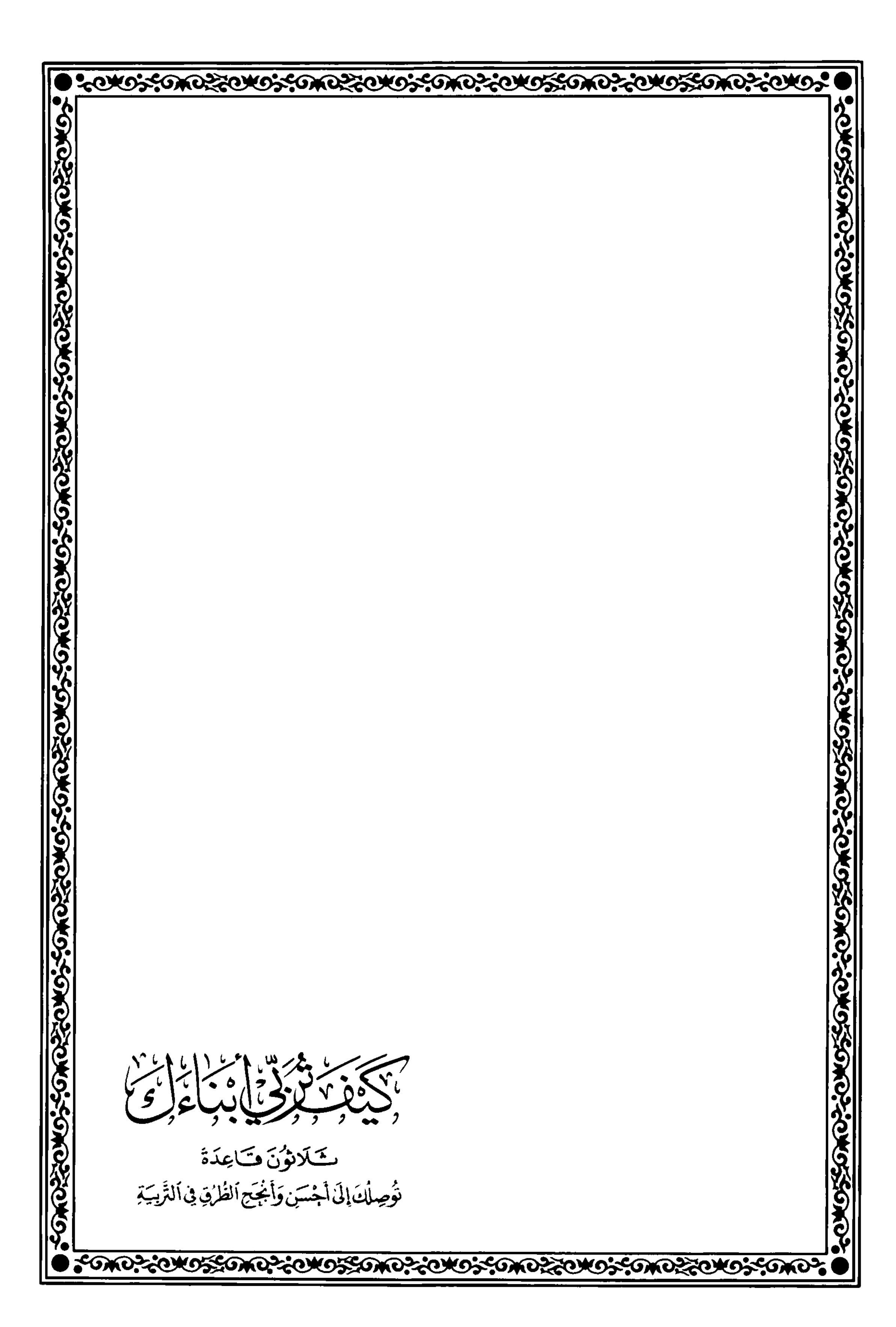
الشيخ الدكتور محمد الدويش

إعداد

أحمد بن ناصر الطيار



مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع


كيف تربي أبناءك
ثلاثون قاعدة
توصلك إلى أحسن وأنجح الطرق في التربية



عنوان المصنف: كيف تربي أبناءك

إعـــــداد : أحمد بن ناصر الطيار

رقـم الإيـــداع: ٧٤٢١ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي: ٣-٥٣-٥٢٣٢-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ



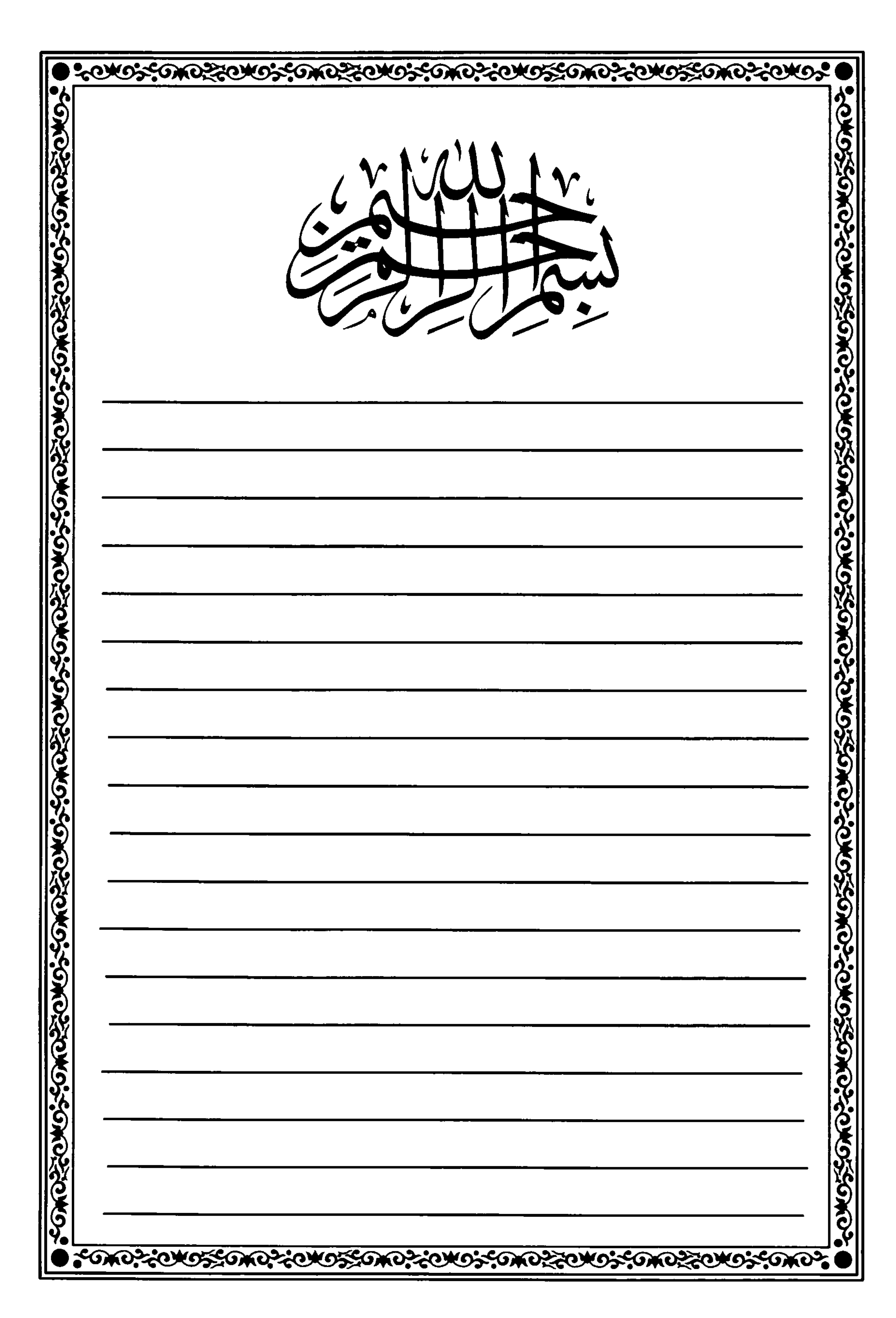
الإدارة والمبيعات جوال ـ ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ ـ ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ ـ ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية ـ ١٧٥ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ ـ جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة ـ ٦ ش الدراسة متفرع من ش البيطار ـ خلف الجامع الأزهر الشريف ـ هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ ـ فاكس: ٠٠٢/٠٢٢٦٦٣٣٦٧٨

البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي تعالى عن الشريك والأنداد، وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد، وأحاطتْ قُدرتُه وآلاؤُه جميعَ العباد، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، مَنْ آمَنَ بِهِ أسْعَدَهُ يومَ الْمَعاد، ومن جحده وعانده فالله له بالمرصاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيِّدُ العُبَّاد والزُّهاد، الداعي إلى سبيل الهُدى والرشاد، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين أفنوا أعمارهم بالدعوةِ والجهاد، وكانوا حصناً منيعاً أمام الشرك والإلحاد، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم التناد.

أما بعد:

أيها الْمُربي ـ أباً كان أو أُمّاً ـ إنَّ أغلى ما تملكه في حياتك بعد دينك، هم أولادك وفَلَذاتُ أكبادك، فهم من أعظم أسباب سعادتك أو تعاستك، فبصلاحهم واسْتقامتهم: يرتاح بالُك، وتَصفو حياتُك، وبفسادهم وتمرُّدِهم: تتكَدَّر حياتُك، وتتجرَّعُ الأسى والألم.

فالأولاد ثروتك في حياتك، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وإنَّ الْمُربيَ العاقل مَن يسعى للحفاظ عليها وتنميتها ومراقبتها، ويطلُب الطُرُقَ والوسائل التي من خلالها يتمكن من تربيتهم التربية الصحيحة، ولو تطلَّب ذلك شيئاً من وقته وماله.

وإذا كانت لك على أولادِك حقوقٌ مشروعة، فعليك واجباتٌ ومسؤولية، قال ابن القيم رحمه الله ـ مُؤكِّداً هذه المسؤولية ـ: قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فلِلْابْنِ على أبيه حقٌّ.

فكما قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥] قال أيضاً: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فوصية الله للآباء بأولادهم سابقةٌ على وصية الأولاد بآبائهم، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثرُ الأولاد إنما جاء فسادهم مِن قِبَل الآباء، وإهمالِهم لهم، وتركِ تعليمِهم فرائضَ الدين وسنَنَه، فأضاعوهم صغاراً، فلم يَنْتَفِعوا بأنفسهم، ولم يَنْفَعوا آباءَهم كباراً.اهـ كلامه[١].

فها أنت تسعى كلَّ يومٍ للبحث عن رزقك، وتنميةِ أموالك، وتسأل وتبحث عن طُرُقِ تنميتها وتكثيرها، أفلا يستحق أبناؤُك مثل هذا الحرص والجهد؟

وإذا كُنَّا قد سعينا في إيجادهم في هذه الحياة، فهل سعينا في تربيتهم ليُواجهوا مصاعبها وعناءها، وليكونوا عوناً وأُنْساً لنا، أم أهملنا تربيتهم ليكونوا مصدر شقاءٍ وتعاسةٍ لنا، فماذا صنعنا لهم بعد وجودهم؟ وكيف واقِعُنا معهم، وما هي أنسبُ الطرق، وأفضلُ الوسائل لتربيتهم؟

والمشكلة أن أكثر الآباء والأمهات لا يَجِدون متسعاً من الوقت أو من الصبر في الاستماع والإنصات لأولادهم، كي يتعرفوا على ما في نفوسهم وخواطرِهم، ويَفْهَموا طبيعة مشاعرِهم وهمومهم، فـإلا بد أنْ

---

(١) تحفة المولود ١/ ٢٢٩.

نُجاهد أنفُسنا على أنْ تتمرَّن على فنِّ التعامل مع الأبناء، وعلى التعاطي معهم بالأسلوب الأمثل، والتعامل الأفضل.

وبعض الآباء ـ هداهمُ الله ـ ليستْ لديهم مرونةٌ في التعامل، إما أسود أو أبيض، أو بعبارةٍ أخرى: إما أنْ توافق أو تفارق، أشبه بالأسلوب العسكري!.

وهذا نهجٌ دَرَج عليه بعض الآباء في الزمن السابق، حيث لا مفرّ للابن إلا إلى والدَيه، ولكنه لا يَتناسب أبداً في هذا الزمن، فلو فارقه فالأشرار سوف يتلقَّفونه ويستقبلونه، وأبواب الشرّ مُشْرعةٌ أمامه.

فمعاملة الأبناء فنٌّ يسْتعصي على كثيرٍ من الآباء والأمهات، وكثيراً ما ينشدُ الآباء ويبحثون عن أفضل السبل للتعامل معهم.

والعجيب أنك لا تكاد تجد أحداً عنده أولادٌ إلا ويشتكي من الصعوبات التي تواجهه أثناء تربية أولاده، وإذا كان لتوِّه قد رُزق مولوداً فإنه يحمل هَمّاً في الصعوبات التي ستواجهه، ويخبرك بأن الزمن والْجِيْل قد تغيَّر، لكنه لم يُكلِّف نفسه ولو ساعةً واحدةً في الشهر ليقرأ كتاباً أو يسمع شريطاً أو يَحْضر دورةً في كيفية التعامل مع الأبناء، أو على الأقل يستشير أهل الخبرة والتربية، ويقبل نصحَهم وتجاربَهم.

بل إن أكثر هؤلاء يخوضون التجارب بأنفسهم، ولم يستفيدوا من غيرهم ولا ممن سبقهم شيئاً.

ويا لَلْعجب! لو أن أحدهم أراد أنْ يدخل مشروعاً تجاريّاً، يضع فيه ما عنده من الأموال، لرأيته يسأل التجار وأهل الخبرة، ويضع تصوراً كبيراً عن هذا المشروع، بحيث لا يُقْدم عليه إلا عن قناعةٍ تامة، وخبرةٍ كافية!.

أوليس أبناؤهم، وفلذات أكبادِهم، أكبرَ وأعظمَ مشروعٍ في حياتهم؟.

وكثيراً ما يُلقي الوالدان باللوم على أبنائهم عندما يتصرَّفون بتصرُّفاتٍ سيِّئةٍ، أو يرتكبون أفعالاً خاطئةً، وينسون أنَّهما أحقُّ وأولى باللوم والعتاب؛ لأنه كان منهما نوعُ تفريطٍ وتقصير في اتِّخاذ الأسلوب الأمثل في التعامل مع أبنائهم، فقد سبق تقصيرُهم تقصيرَ أبنائهم، وهما المنبعُ الأساس الذي إذا كان عذباً طيِّباً كان الارتواء منه سليماً، وإن كان المنبعُ مُتغيِّراً نتناً كان الارتواء منه سقيماً.

ولْتعلموا ـ أيها الآباء والأمهات ـ: أنَّ من أراد أنْ يُربيَ أبناءه: فلْيبدأْ بنفسه فلْيُربِّهَا، ولْيُدرِّبْها على التخلُّقِ بالأخلاق الحسنة، والتعاملِ بالرفق والحلم والصبر، وليُجاهدْها على تطبيق هذه القواعد والأساليب، وإلا لأصبح كمن يزرع بذراً طيِّباً في أرضٍ جَدْبةٍ لا تُنبتُ كلأً.

فما الفائدةُ من سماع النصائح والتوجيهات، والأدلةِ والبراهين، وأنت لم تقتنع منها، أو اقْتنعت منها، لكنَّك لم تعزمْ على العمل بها.

وليست تربيةُ الأبناء مُعقَّدةً وصعبة، بل إنك قادرٌ على ذلك بيُسرٍ وسهولة، إذا اعْتمدتّ على الله تعالى، وأخذت بالأسباب الْمُعينةِ على ذلك، والإنسانُ اسْتطاع أنْ يُروِّض الوحوش القاتلة، والسباع العادية، والصقور الجارحة، أفلا تستطيع أنت، أنْ تُروِّض ابنك وفلذةَ كبِدِك؟ الذي يتفق معك في الطباع والصفات وكلِّ شيء.

وأكثر الناس لا يُربون أبناءهم على علمٍ مُؤَصَّل، ولا على قواعد مدروسة، فينشأ الطفل كغيره من الأطفال العاديين، وإنْ حصل منه نوعُ صلاحٍ ونبوغ فهو من طرفٍ مُؤثرٍ آخر، إما من معلم، أو صديقٍ، أو دعوةٍ صادقةٍ له، أو بسبب صلاح والديه أو أحدهما.

فلا تغترَّ أنت حينما ترى أحداً من الناس له أولادٌ صالحون بارِزون، وهو لا يعرف الكتابة والقراءة؛ لأنَّ أبناءه ربما حصل لهم شيءٌ

مما ذكرت، وربما لأنَّه تعامل معهم تعاملاً صحيحاً سليماً بفطرته، فهو رباهم بناءً على علمٍ فطريّ لا على علمٍ مُكتسب، والْمُؤدَّى واحد.

وخذ مثالاً على ذلك: سألت أحد الناجحين في تربية أبنائه ـ علماً أنه لم يأخذ إلا الشهادة الابتدائية، وليس متعلماً ولا مُثقفاً ـ عن سبب تفوقهم وصلاحهم، وحُبّهم وصداقتهم له، حتى إنهم إذا كانوا في مجلسٍ فإنهم لا يُفضِّلون الجلوس إلا عنده والقرب منه والحديث معه، وأحدهم أصبح دكتوراً ذا شأنٍ ومكانة، والآخر على وشكِ التخرج من كلية الطب، والبقية تخرجوا من الثانوية بنسبةٍ تتجاوز الستةَ والتسعين بالمائة، وكنت أعجب من حرصهم على الصلاة، ومن أدبهم وأخلاقهم، فقال لي: إني أحمد الله على ذلك، والسبب الأكبر عندي هو بري الكبير بوالديّ، وقيامي بحقهما. والدعاء لأولادي في سري وعلني.

وأما عن تعاملي معهم فإني جعلتهم كأصدقائي تماماً، أعاملهم بلا تكلف، وأجد في قلبي رحمةً وعاطفة كبيرةً تجاههم، ولا أذكر أني ضربت أحداً منهم ولا مرةً واحدة، وأستشيرهم دائماً، وآخذ برأيهم، وأمنحهم المسؤولية والثقة في أنفسهم، حتى إني أعطيتهم بطاقة صرافتي، وقلت لهم: أنا ائتمنتكم على أموال أهلكم، وأُكرم أَولادي كذلك ولا أبخلُ عليهم.

فمثل هذا الْمُربي الناجح اسْتغنى بفطرته وتربيته السليمة عن القراءة والمطالعة، وهذا الكتاب ما جاء إلا في استنباط أسرار الناجحين، واقتباس أسباب نجاحهم، واستنباط أسرار الذين فشلوا في التربية، واقتباس أسباب فشلهم.

فها هي أيها الأب الْمُوفَّق، قد وضعْتُ لك هذه القواعد والأساليب من هذه التجارب، وما عايشته ورأيته من هؤلاء، فاستنبطت

وسَبرَت، وقارنت ورتبت، بعيداً عن التنظير الذي يقرب من الخيال، والمثاليةِ التي لا تخطر على بال، وتنزُيلها في الواقع من الْمُحال.

وأخذت ما يُدعِّم ما توصلت إليه من خلال قراءتي في هذا الفن لعشرات الكتب والخطب، والرسائل والمقالات، ومن خلال الشبكة العنكبوتية.

وهذه القواعد والأساليب التي بين يديك: هي ضالة ما ينشده الآباء والأمهات، والْمُربون والمربيات، وهي مما اتفق عليها العقلاء، وأجمع على صحتها الْمُوفقون من الآباء، ودأب عليها الْمُربون، وقررها العلماءُ والمؤلفون.

وقد أخَذَتْ وقتاً وجُهداً في إعدادها، وما عليك إلا أنْ تُرعيَ لها انْتباهك، وتُحضر لها قلبك، وتعقد العزم الأكيد على تطبيقها.

وما هي إلا أسباب، والهدايةُ بيد الله ربِ الأرباب.

وهي كلُّها مبنيَّةٌ على قواعدٍ شرعيَّةٍ وتربويةٍ عظيمة، مَن أهملها حُرم الخير والفَلاح، ومَن عمل بها نالهُ التوفيقُ والنجاح.

وقد حرصت كلَّ الحرص على الاستفادة من تجارب وخبرات الْمُربين الناجحين، والتعرفِ والوقوف على تجارب الْمُربين الفاشلين والْمُفرطين، فتكونت لديَّ صورةٌ واضحةٌ عن التربية الناجحة والفاشلة.

ولقد وجدت الْمُربين الناجحين يعتمدون جميعاً في تربيتهم على أربعةِ أساليب ـ عفويةٍ طبعاً ـ:

١ ـ الحبُّ وإظهارُه لهم، وإسماعهم عبارات الحب واللطف.

٢ ـ الاحترام والتشجيع والثناء، وإعطاؤهم الثقة بأنفسهم.

٣ ـ إكرامهم وتلبية رغباتهم في حدود المعقول.

٤ ـ مُعاملتهم كأصدقاء، ودون رسميَّاتٍ ومُراعاةٍ لضوابط دقيقة.

ووجدت الفاشلين والْمُخفقين في تربيتهم لا يتحلَّون بواحدةٍ من هذه الأساليب أو أكثرها.

وأتقدَّم بالشكر الجزيلِ لفضيلة الشيخ الدكتور: محمَّد الدّويش ـ الْمُشرف العام على موقع الْمُربي ـ على تفاعله مع هذا الكتاب، حيث قرأه كاملاً، وعلَّق عليه، وصحَّح أخطاءه، وأتحفني بما حباه الله من علمٍ في مجال التربية، ومن تجاربه وخبراته، فجزاه الله خيراً.

وغالب تعليقاته واسْتدراكاته أثبتُّها في الحاشية.

وأشكر كذلك الشيخ بندر بن عبد الله الفايز على ما بذله من جهدٍ وسعيٍ في نشر إيصال كُتُبي قبل طباعتها للْمُتخصِّصين كي يُراجعوها، فشكر الله سعيه، ولا حرمه أجر من قرأ هذه الكتبَ واسْتفاد منها.

وأشكر مكتبة دار الحجاز على ما تفضلت به من طباعة كتبي وإخراجها إخراجاً طيباً وحرصها على نشر الكتب التي تعتني بالعقيدة الصافية والمنهج الصحيح السالم من البدع والانحرافات.

** ** **

وقبل أنْ نبدأ بالقواعد: أُحب أنْ تقيِّم نفسك وولدك بهذه الأسئلة الْمُنتقاة بعناية.

وستجيب عن الأسئلة بـ نعم، أحياناً، لا.

١ ـ كيف تقيم نفسك؟

م	أسس التقييم	نعم	أحياناً	لا
١	هل أنت تحب الأطفال؟			
٢	هل يحبك الأطفال؟			
٣	هل ترى أن تربيتك كانت صحيحة؟			
٤	هل تراعي الفروق الفردية بين الأطفال؟			
٥	هل تفضل الأساليب الحديثة في التربية؟			
٦	هل عندك القدرة على تنمية وتوظيف المواهب؟			
٧	هل أنت قادر على الإثارة والتشويق أثناء الحديث؟			
٨	هل عندك القدرة على احتواء الآخرين؟			
٩	هل تعرف خصائص المرحلة السنية لطفلك؟			
١٠	هل تستخدم أسلوب الثواب والعقاب؟			
١١	هل تعرف مشكلات الطفل النفسية وطرق علاجها؟			
١٢	هل لك هدف من التربية؟			
١٣	هل أنت لين في غير ضعف؛ شديد في غير عنف؟			
١٤	هل أنت قادر على التعامل مع المواقف المختلفة وتغيير ملامح وجهك حسبما يقتضى الموقف؟			
١٥	هل أنت قدوة في: دراستك ومظهرك وعبادتك؟			

كيفية التقييم:

نعم = ٣ أحياناً = ٢ لا = ١

- أكثر من ٣٥: أنت مربٍ ممتاز فهنيئاً لك.
- من ٢٠ ـ ٣٥: اهتم بنفسك أكثر.
- أقل من ٢٠: راجع نفسك.

٢ ـ كيف تُقيم ابنك؟

م	أسس التقييم	نعم	أحياناً	لا
١	سليم من الأمراض العضوية			
٢	سليم من الأمراض			
٣	ينفذ ما يتعلمه			
٤	لا يُوجد في بيته مشكلة: (فقر ـ يتم ـ طلاق ـ مشاجرات)			
٥	عنده القدرة على الابتكار والتجديد			
٦	ليست عنده لا مُبالاة			
٧	سريع البديهة			
٨	يفعل وحده ما يفعله أمامك			
٩	صادقٌ أمين			
١٠	إيجابي			
١١	أكبر من سنه			
١٢	مُقبلٌ على فعل الخير			
١٣	مقبلٌ على العبادة			
١٤	لديه حرفةٌ			
١٥	له هواية			

كيفية التقييم:

نعم = ٣ أحياناً = ٢ لا = ١

ـ أكثر من ٣٥: بارك الله لك في ابنك.

ـ من ٢٠ ـ ٣٥: ابنك يحتاج لاهتمام أكثر.

ـ أقل من ٢٠: اتق الله ولا تضيع الأمانة[١].

---

(١) يُنظر كتاب: «فن تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور محمد سعيد مرسي ١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

ونبدأ الآن بمشيئة الله بهذه القواعد الأساسيَّة في التربية:

وهذه القواعدُ مُقسَّمةٌ إلى قسمين:

القسم الأول

الوقاية

حيث تعاملُه الْمُعاملة الطيبة التي تمنع وتقي من حدوثِ الأخطاء الأخلاقية، والمشاكل السلوكية السيئة، وهي تبدأ من السنة الأولى للطفل وتستمر معه طول حياته.

وهذا القسم هو الأهمُّ، حيث يحمي الطفل من هذه الأخطاء، ويحميك أنت ـ أيها المربي ـ من انحرافه، وسوء أخلاقه.

وقد قيل: الوقاية خيرٌ من العلاج.

ويحتوي هذا القسمُ على ثمانيةٍ وعشرين قاعدة تربوية:

القاعدةُ الأولى:

أنْ نعامل أبناءنا حسب مرحلتهم العمرية، وفي الحكمة المشهورة: «لاعب ولدك سبعاً، وأدِّبْه سبعاً، وصاحبه سبعاً»

فالولدُ يمرُّ بثلاثِ مراحل، لكلِّ مرحلةٍ تعاملٌ خاصٌّ بها:

▪ **المرحلة الأولى**: لاعبه سبعاً، أي حتى سنّ السابعة، وهي مرحلة اللهو واللعب والبراءة، حيث لا يُستعمل أسلوبُ الضرب والحرمان، إلا في نطاقٍ ضيّق، ولكن بتوجيهِهِ إلى العادات الحسنة.

وقد كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال، ويُعاملهم بالحبّ والرحمةِ والشفقة.

فهاهو ﷺ يقبّل الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، وهو طفلٌ صغير، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ جَالِساً، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ نظرةَ اسْتغرابٍ وتعجُّبٍ ثُمَّ قَالَ: **«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»**. متفق عليه(١).

بل إنه ﷺ رُبَّما انْشغل بالأطفال وآنسهم، وقضى حاجتهم، وأشبع عاطفتهم، وهو بين يدَيْ ربِّه في الصلاة، التي هي قُرَّةُ عينه وراحتُه ولذَّتُه، أو في الخطبةِ التي يُبلِّغ بها شرع الله تعالى.

(١) البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٦١٧٠).

خَرَجَ ﷺ مرةً إلى صَلَاة الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلٌ الْحَسَنَ ـ أَوِ الْحُسَيْنَ ـ فَتَقَدَّمَ إلى الصَّلاةِ فَوَضَعَهُ بِجانبِه، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَلَمَّا سَجَدَ أَطَالَ السجود، فَلَمَّا انْتهت الصَّلَاةُ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: **«فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»**[1].

أي: حتى يشبع من اللعب في ظهري، وينزل منه باخْتياره ورغبته!!

وجاء مرةً إلى المسجد حاملاً معه بنت بنته «أمامة»، فكان النبي ﷺ يحملها وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها. متفق عليه[2].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ شَفَقَته ﷺ وَرَحْمَته لِأُمَامَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ يَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ تَسْقُط فَيَضَعهَا بِالْأَرْضِ وَكَأَنَّهَا كَانَتْ لِتَعَلُّقِهَا بِهِ لَا تَصِير فِي الْأَرْض فَتَجْزَع مِنْ مُفَارَقَته، فَيَحْتَاج أَنْ يَحْمِلهَا إِذَا قَامَ، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ بَعْضهمْ عِظَم قَدْر رَحْمَة الْوَلَد؛ لِأَنَّهُ تَعَارِض حِينَئِذٍ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْمُبَالَغَة فِي الْخُشُوع وَالْمُحَافَظَة عَلَى مُرَاعَاة خَاطِر الْوَلَد فَقَدَّمَ الثَّانِي[3]. اهـ.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: كلُّ هذا رحمةً بها وعطفاً، وإلا فقد كان من الممكن أن يقول لعائشة أو غيرها من نسائه: خذي البنت، لكنها رحمةٌ، ربما إنها تعلقت بجدها ﷺ فأراد أن يُطيِّب نفسَها. اهـ كلامه[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٦٠٣٣)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط.
(٢) البخاري (٥١٦)، ومسلم (٤١).
(٣) الفتح ١٠/٥٢٧.
(٤) شرح رياض الصالحين ٤/٤٥٧.

وكان يخطب الناس يوماً على المنبر، فأقبل الحسن والحسين وعليهما ثوبان جديدان يعثران بهما، فنزل النبي ﷺ وحملهما بين يديه وقال: «**صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥]، **نظرت إلى هذين الصبيين يعثران فلم أصبر**»[١].

يعني فما طابت نفسه حتى نزل وحملهما، وهو واقفٌ أَمَامَ الجموع الغفيرة من الناس، وفي عبادةٍ وطاعةٍ، لكن الرحمةَ التي في قلبه تجاه الأطفال لم تُمْهله حتى ينتهي من خطبته فيضمُّهما ويُقَبِّلهما.

فهذه رسالةٌ إلى كلِّ أبٍ وأمٍّ أنْ يُراجعوا حساباتهم مع أطفالهم، وأنْ يقتدوا برسولهم وحبيبهم ﷺ إن كانوا مُؤمنين مُقْتدين به، محبين مُعظِّمين له، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

واللعب معهم في هذا السن مما يحببهم بك، ويُدخل فيهم الأمن والطمأنينة والسرور.

«وقد تجد نفسك أحياناً تلعب مع ولدك وأنت مشغول الذهن في عملٍ أو قضية، وقد يعني هذا أنك لم تُدخل بعدُ ولدك في حياتك الخاصة بشكلٍ كامل.

حدِّد وقتاً معقولاً وقل في نفسك: إن هذا الوقت كله لولدي، وبذلك تُحاول أنْ تضع كل ما تستطيع في قضاء هذا الوقت وبشكلٍ كاملٍ مع ولدك، وبحيث يستمتع كلاكما بهذا الوقت.

ومهما كان عملك فإن لولدك عليك حقاً فيك وفي وقتك.

فاسْتجابتك لحاجته الآن ستُساعده على التعرف على نفسه وعليك،

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٠٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود.

ممَّا يُعينُه على التكيُّف في مُقبلات الأيام»[١].

ولْنتجنَّب الألعاب التي فيها خطورةٌ على الطفل، أو تُثير غضبه وحنقه، فترسخ فيه صفة الغضب والعناد.

«كما أنَّ هناك خطأً شائعاً عند الكثير من الأهل، وهو التحدي ولو على سبيل الْمزاح ومُداعبة الطفل في تصرفاته ومُخاطبته بكلامٍ يُؤدِّي إلى غضبه»[٢].

والطفل في هذا السنّ ـ خاصةً بعد الثالثة ـ يبحث عمَّن يلعب معه ويُؤانسه ويُضاحكه، ولا يبحث عن صديقٍ بقدرِ ما يبحث عن الذي يلعب معه ويُسلِّيه.

فما أجمل أن يحرص الْمُربي الناجح على أنْ يكون أكبر مُؤنسٍ، وأفضل مُداعبٍ لولده، حيث تبدأ أُولى الصداقةِ الْحميمةِ بينه وبين ولده في هذه الْمَرحلةِ.

ومن فرَّط في هذه الْمرحلةِ ولم يُبال بِمُدَاعبته، ولم يُخصِّص وقتاً للعب والنزهةِ معه، ولم يجعل ابنه يعتاد دوماً أنْ يقوم بالسلامِ عليه وتقبيلِ رأسه، ولم يتعوَّد على ضمِّ ولده إلى صدره، والْمسحِ على رأسه، وإسماعه عبارات الحبِّ والعطف: فإنَّ الابن عندما يكبر لن تكون صداقتُه ومودَّتُه وانجذابه لوالدَيه قويَّةً متينةً.

ولن يجد الوالدان بعد ذلك قدرةً على إعادتها، ولن يجدا نشاطاً وجرأةً أنْ يبدءا معه روح الْمُداعبة والْمُحادثة، والسلام الحار، وتقبيل الرأس، إلا بُكلفةٍ وحياء.

---

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب: ٢٨.

(٢) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ٧٢.

وينبغي للوالدين أنْ يُبْعدا عنه أسباب الخوف والقلق؛ كالخلافات العلنية بين الزوجين، ومن ذلك تخويفهم بأشياء وهميَّة؛ كالجن، وعروس الليل، والحرامي، وما شابه ذلك، ومن ذلك: «إبداء الخوف والقلق من الآباء على أبنائهم فينتقل هذا الخوف من الوالد إلى الولد»[(١)].

وهذا يُؤثر عليه في المستقبل فينشأ جباناً ضعيف الشخصية، لا يُحسن اتخاذ قراراته.

ومن هنا ينبغي لنا أنْ نتعرَّف على أهمِّ خصائص الطفل في هذه المرحلة العمريَّةِ الْمُتقدمة، حيث تُعتبر أهمَّ مرحلةٍ في حياة الإنسان؛ ففيها بداية التشكيل والتكوين، وعليها سيكون الإنسان بعد ذلك: سَوِيّاً أو مريضاً، فجميع الأمراض النفسية تقريباً تنشأ نتيجةً لسوء فهم طبيعة هذه المرحلة ومتطلَّباتِها؛ فالغضب، والخوف، والانطواء، والتبول اللاإرادي، والشِّجار، والكَذِب، والسرقة، وغير ذلك من أمراض تنشأ في بداية هذه المرحلة إن أُسِيء إلى الطفل فيها، ولم يعامَل المعاملةَ التربويَّةَ السليمة.

ولكنَّنا نؤكِّد على أنَّ هذهِ الخصائِصَ غيرُ مصطنعة عند بعض الأطفال؛ بل إنَّها تدلُّ على أنَّ هذا الطفل سَوِيٌّ وطبيعيٌّ، وإن أتى ذلك على المربِّي بِبَعْضِ الضَّرر، وأهم هذه الخصائص[(٢)]:

١ ـ كثرة الحركة وعدم الاستقرار:

فالطفل يتحرَّك كثيراً، ولا يجلس في مكان واحد لفترة طويلة.

وإن الحركة الكثيرة، واللعِبَ الدائم، وعدمَ الاستقرار، والصعودَ

---

(١) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ٨٦.

(٢) يُنظر كتاب: «فن تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور محمد سعيد مرسي ١/ ١٣ ـ ٢٠، مع التصرف.

والنزول، وغيرَ ذلك، يَزيد من ذكاء الطفل وخِبرَتِه بعد أن يكبُرَ، أمَّا الآخَرُ الذي لا يتحرك، ويجلس دائماً وحيداً في أحد الأركان فهو غير سوِيٍّ، وغالباً ما سَيُصابُ بعد ذلك بالانطواء والكَبْت والخوف والخجل نتيجة لذلك.

ولكن هناك بعض الأشياء التي تساعد في تهذيب وترشيد حركة الطفل الكثيرة في هذه المرحلة، ومنها:

أ - أن تحاول الأمُّ أن تَشْغَل فراغه معها في أعمال البيت؛ لأنَّ النفس عموماً إن لم تَشْغَلْها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والطفل كذلك إن لم تَشْغَلْهُ بما هو مفيد فسيُفَرِّغ طاقته فيما هو غير مفيد.

ب - زيارة الأقارب والأصدقاء والجيران مِمَّنْ لهم أبناء في مثل هذه السِّنِّ، فيلعب الطفل مع أصدقاء له في سِنِّه، يُفرِّغ معهم طاقَتَهُ على أن يُراعَى اختيار الأقارب والأصدقاء والجيران الصالحين، الذين يربُّون أبناءَهُمْ على القِيَم السَّليمة، والأخلاق الفاضلة؛ لئلا يسمع ما تمنعه عنه من ألفاظ بذيئة وغيرها من فاسد الأخلاق؛ ولذا يُمْنَعُ الطفل من كثرةِ النزول للشارع مع أقرانٍ لم يتربَّوا تربيةً صحيحةً سليمة، ويُمْنَعُ كذلك من سماع التلفاز دائماً؛ لأن ذلك يفسد ما تم إصلاحه.

ج - (الفسحة) والخروج للمتنزهات، ولو مَرَّة كلَّ أسبوع على الأقلّ.

د - إلحاقه في أحد حلقات تحفيظ القرآن المتميزة، أو غير ذلك من الجهات التي يتربى فيها على الخير والصلاح.

٢ - شدَّة التقليد:

فالطفل يقلِّدُ الكبير خاصَّةً الوالِدَيْنِ والمدرسين في الحَسَن والقبيح؛ فالأب يصلي فيحاول الابن تقليده، ويَشرَب الدُّخَان فيحاول الابن تقليده وهكذا، ومن طرق علاج ذلك ما يلي:

أ ـ نحكي له حكايات الصحابة والصالحينَ والعُلَماء والنماذج الطيبة؛ ليقلدهم.

ب ـ نَصْطَحِبُه في كُلّ ما هو حَسَنٌ؛ ليقلد؛ كالذهاب معه إلى المساجد وزيارة الصالحين.

ج ـ لا يجلس أمام التلفاز ليشاهد شخصيَّاتٍ مثاليَّةً وعنيفة؛ لئلا يصاب بالكبت والإحباط، نتيجة فشله في تقليدهم.

د ـ شرائط الكاسيت والفيديو الإسلامية، التي تحكي قِصَصاً هادفةً تُناسب سنَّهم وعقولهم تساعدهم في ذلك.

فإنْ كبروا قليلاً وتجاوزوا سنَّ السابعةِ نجعلهم يُشاهدون أفلاماً أعظم تأثيراً وفائدةً لهم، كالأفلام التي فيها تراجُمٌ للقادة المسلمين الفاتحين؛ مثل أفلام: مُحمَّد الفاتح، وعمر المختار.

٣ ـ العناد:

فالطفل يتميَّزُ بالعِناد الشديد، فلا نتعجَّبُ من ذلك ونتَّهم الطفل بتعمد العناد مع أبويه ومدرِّسيه؛ بل علينا أن نُشَجّعه ونحفزه على فعل النقيض، ونذكر له من القصص والحكايات ما يجعله يَنْفِر من العناد؛ كأن نُشَبّه الذي يُعاند بالشيطان الذي عاند مع الله ولم يطع أوامره؛ فغَضِبَ الله عليه وأدخله النار، ومثله الكافر القبيح وغير ذلك؛ مما يجعل الطفل يبتعد عن هذه الصفة، ولكن في النهاية نتأكَّد تمام التأكّد من أنَّ الطفل العنيد غير مريض، وغير عاقّ لوالديه، ولكن هذا العناد يرجع إلى طبيعة سِنّه، فإذا صعِد على الفراش برجله المتسخة ورفض النزول، أو رفض النوم، وصمَّم على الرفض، أو عاند في أي شيء، فالتحفيز والتشجيع لا الإهانة والتعذيب.

٤ ـ عدم التمييز بين الصواب والخطأ:

فالطفل قد رأى أمه تشعل الكبريت، فحاول تقليدها فلسعته النار،

ووضع يده في الماء الساخن وهو لا يعرف ضرره، ويريد أن يضع يده بين ريش المروحة وهي تعمل، وغير ذلك من أمثلة تدل على عدم تمييز الطفل بين الصواب والخطأ، فلا يحاسب الطفل على ذلك بالضرب والإهانة؛ كما يحاسب الكبير المدرِك؛ لأن عقل الطفل لم ينضج بعد، وإن مَيَّزَ شيئاً لا يُمَيِّز الآخر، لكن علينا أن نبعده عما يضره؛ كالسكين، والكبريت، والمروحة و(الدفاية)، والماء الساخن.

٥ ـ كثرة الأسئلة:

فهو يسأل عن أيِّ شيء، وفي أي وقت، وبأي كيفية؟ ولكن علينا أنْ نحذر من الكذب على الطفل، ولا نجيب عن أسئلته بما لا يحتمله عقله، ولنضبط ردود أفعالنا عند المفاجأة بسؤال غير متوقع، ولا نقول له: أنت ما زلت صغيراً، ولا تتكلم في هذه الأمور؛ لأن الطفل عنيد، وسَيَزِيدُه ذلك شغفاً لمعرفة الإجابة عن سؤاله، وسيضطر لأن يسأل أحد أقاربه، أو مدرِّس الحضانة أو المَدْرَسَة، وقد يجيبه إجابة خاطئة تَعْلَقُ في ذِهنه، ولا تستطيع مَحْوَها أو تصويبَها بسهولة؛ فلنفتح قلوبنا وعقولنا لأسئلة أبنائنا قبل أن نندم.

٦ ـ ذاكرة حادة آلية:

فالطفل ذاكرته ما زالتْ نقيَّةٌ بيضاءَ، لم تُدَنِّسها الهموم ولا المشاكل، فهو لذلك يحفظ كثيراً وبلا فهم، وهذا معنى الآلية؛ أي: أنْ يحفظَ بلا وعي وبلا إدراك، وتُسْتَغَلُّ هذه الحِدَّةُ والآلية في الذاكرة في: حفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدعية، والأذكار، والأناشيد الهادفة، وفي المذاكرة، ويصعُبُ نِسيان ما يحفَظُه في هذه السِّنّ.

ولكن مع مراعاة أن يكون أُسلوبُ التَّحفيظِ سَهلاً شَيِّقاً.

٧ ـ حب التشجيع:

وهو عامل مشترك تقريباً في كل الخصائص، ونحتاج إليه عند العِناد، وعند عدم التمييز بين الصواب والخطأ، وعند كثرة الحركة، وعدم الاستقرار، وعلينا أن نُنَوِّعَ التشجيع من ماديٍّ إلى معنويٍّ، وذلك حتَّى لا يتعوَّدَ الطفل على شيءٍ معين، ولئلَّا يصير نَفْعِيّاً، يأخذ على ما يعمله مقابلاً، ومن الأشياء الهامَّة عند التشجيع أن يربطَ الطفل بالثواب الأخروي، فنقول له: (الذي يسمع الكلام يَرْضَى الله عَنْهُ)، (هذا الحرف بعشر حسنات)، (الصلاة التي صليتها في المسجد الآن بسبع وعشرين صلاةً في البيت)، ونَرْبِطُه بأفعال الصحابة والصالحين، فعندما يذهب للتَّدْرِيبِ في النَّادي نقول له: أنتَ سَتَكُونُ قَوِيّاً مِثْلَ سيّدِنا عُمَر وكان الكُفَّار يَخافون منه، أو نربطه بمن يحب؛ كأبيه؛ أو خالِه؛ أو عمّه؛ أو مُعَلّمه. وأساليب التَّشجيع كثيرةٌ ومُتَنوّعة، ومنها: (إعطاؤه نجمة في كراسة الحضانة مثلاً) ومدحه أمام زملائه وأَبَوَيْهِ، ومناداته بأحب الأسماء إليه وغير ذلك.

٨ ـ حبّ اللَّعب والمَرَح:

وهذا ليس عيباً؛ بل إنَّ اللعب قد يكون وسيلة لاكتساب المهارات، وتجميع الخِبْرات، وتنمية الذكاء، وأفضل وسيلة للتعليم هي اللعب، واللعب والمرح ليس اختيارياً لولي الأمر كما أنه ليس عيباً في الطفل؛ بل إن ما يفعله هو طبيعة سِنّه وخاصّيَّة من خصائصه التي بدونها يصير غير طبيعي، وما علينا إلَّا أن نرشده ونوجهه إلى اختيار ألعابه وأوقات اللعب، وكيف يستفيدُ من هذا اللعب، واختيار مَن يلعب معهم.

٩ ـ حبُ التَنافُس والتَناحُر:

وهذه إن رُشِّدَتْ ووُجِّهَتْ كانت عاملاً مهمّاً في التفوّق والابتكار،

فتقول لابنك: لا أحب أن تكون متأخّراً في شيء؛ بل لا بد أن تكون الأول دائماً. وتقول: الولد فلان يفعل كذا، فلماذا لا تكون مثله؟ أنت يمكن أن تكون أفضل منه لو فعلت كذا وكذا، وهكذا تشجعه دائماً على التنافس في الخير مع مراعاة عدم الإسراف فيه بصورة تورث الطفل العدوانية، والغيرة، والحقد على الآخر المتفوّق عليه.

١٠ ـ التفكير الخيالي:

فعقله لم ينضج بعد كما تحدثنا؛ لذلك فيغلب الخيال على تفكيره، وهو ما يسمى بأحلام اليقظة عند الكبار ـ خاصة المراهقين والمراهقات ـ فهو تفكير في غير الوَاقع، فلا تنزعج عندما تجد الطفل جالساً يفكر في شيء ما.

فعندما نحدثه عن الجنة نقول: فيها كل ما تحبه، ونتركه يفكر فيها كيفما يشاء، وكذلك نقول له: (ربنا كبير وقوي جدّاً)، ونتركه يسبح بخياله كيفما يشاء؛ حتى يكبر وينضج عقله.

١١ ـ الميل لاكتساب المهارات:

فلو أن أباه كان نجاراً، أو لاعباً، أو حداداً، أو مُعَلِّماً، أو سَبَّاكاً، أو حتى عامل نظافة، فسوف نجد الطفل يحاول اكتساب تلك المهارة مِن أبيه بتقليده له، وذلك للطفل الصغير قبل ٦ سنوات، وبعدها سيقل ذلك.

١٢ ـ النمو اللغوي سريع:

فمعجم الطفل اللغوي يزداد باستمرار، ويؤثر في ذلك الصحَّةُ العامَّةُ للطفل، خاصة التغذية السليمة، وكذلك العلاقات الأُسْرِيَّة، والمحتوى الاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والمستوى اللغويّ للأب والأم.

ولمراعاة النمُوِّ اللغويِّ السريع للطفل، ولتجنّب ما قد يظهر بعد ذلك من مشاكل في نطقه يراعى الآتي:

١ ـ إبعاد الطفل عن الألفاظ السيئة، والبذيئة: كالسِّباب والشتائم.

٢ ـ الكشف الدوري على الطفل ومتابعته صِحّياً، خاصة أذنه؛ لأنه ربما يكون ضعيف السمع.

٣ ـ مخالطة الأقران الصالحين من الأطفال.

٤ ـ الإكثار من القِصَص الهادفة المحكيَّة عن طريق شرائط الكاسيت والفيديو.

٥ ـ تصويب الألفاظ التي ينطِقُها الطفل معكوسة، وعدم الضحك عليه، أو السخرية منه لئلَّا يُعانِد.

٦ ـ أن يُخرِج المُرَبّي ـ خاصَّةً الأَبَوَيْنِ ـ اللَّفْظَ من مَخْرَجِه، دون مُجاراته لما يقوله من كلام خاطئ.

١٣ ـ الميل للفكِّ والتركيب:

وهذا يَعتبرُهُ البعض نوعاً من التخريب وهو ليس كذلك؛ بل هي طبيعة المرحلة فينبغي أن يُبعَدَ عنِ الطفل أيُّ شيء قابلٍ للفكِّ، أو ما يخشى عليه منه، ويؤتى له بألعاب متخصصة في ذلك مثل: القطار، والمكعبات، والقصص، والورق، والصلصال.

١٤ ـ حدَّة الانفعالات:

فهو يثور وينفعل بدرجة واحدة للأمور الهامَّة والتافهة: وأهم هذه الانفعالات:

١ ـ الخوف، وهو عند البنات أكثر، فلا ينبغي أن يعاقَب الطفل بالتخويف من الشرطي، أوِ الظلام، أو الأب، أو المدرس، أو

العفريت، أو (أبو رجل مسلوخة)، أو (أُمِّنا الغولة)؛ لأن لهذا عواقبه الوخيمة فيما بعد، وسيترتب عليه الكثير من الأمراض النفسية، والتبول اللاإرادي، والكبت، والانطواء.

٢ ـ الغَضَب: ومِنْ مَظاهِرِه: الامْتِناع عن الأكل، أو كَسْر الأشياء، أو أن يضرب نفسَهُ، وبواعث الغضب قد تكون: اللَّوْم والنَّقد، مقارنته بِغَيره دائماً، إرغامه على اتّباع بعض العادات والأَنْظِمة، تكليفه بعملٍ فَوْقَ طاقَتِه، غضب الوالدين والشِّجار الدائم بينهما.

٣ ـ الغَيْرة: وهي منتشرة بَيْنَ البنات أكثر، وغالباً ما تكون بسبب مولود جديد، يَشعُر الطفل أنه أَخَذ منه حنان الأبوين، فيقوم بإيذائه، أو يتبوَّل لا إرادياً، أو يحبو بعد أن كان يمشي ليجذِبَ إليه الانتباه، وتُعالَج هذه الغيرة ـ إن وجدت ـ بأن يطلب منهم تقبيلُ بعضهم البعض، وإهداء أحدهم هديَّة للآخَر، والإيثار، وعدم تمييز أحد على أحد في المعاملة، وإن كان الآخر معيباً أو مريضاً، ويُعْطَى الكبير برتقالة يقسمها بالتساوي على الأصغر منه، وهكذا.

الخلاصة:

ـ للطفل خصائصُ ينبغي تَقَبُّلُها وترشيدها وتهذيبها، والتربية على النقيض إن كانت تعود بالضرر على المربي أو الطفل، أو زيادتها والاهتمام بها إن كانت غير ذلك، وهذه الخصائص مشتركة في البنت والولد، وفي الأطفال بعامَّة على اختلاف درجاتها، وذلك لوجود الفروق الفردية بين البشر عموماً، والأطفال خصوصاً.

ـ عدم اتّهام الأطفال بالعناد والتخريب والمشاكسة.

ـ مراعاة القدوة مهمّ جدّاً في هذه المرحلة، خاصَّةً أنَّ الطفل يقلّد ويحفظ ولا ينسى، ويزيد معجمه بما يسمع.

ـ رفع الأشياء التي تضرّ الطفل وإبعادها عنه؛ كالماء الساخن؛ والسكين؛ والنار.

ـ الاهتمام بتحفيظ الطفل القرآن، والحديث، والأدعية، والأذكار، والأناشيد.

ـ ربط الطفل دائماً بالقدوات من الأنبياء والصحابة والصالحين.

ـ شراء ألعاب للطفل تُنَمّي قدراته وذكاءه، خاصة ألعاب الفك والتركيب، والتنويع فيها.

ـ مراعاة تطورات النمو الجسمي، فالبنت تزيد في الوزن عن الولد، والولد يزيد في الطول عن البنت، وهذا في معظم الحالات تقريباً.

المرحلة الثانية: أدِّبه سبعاً، أيْ من سنِّ السابعة، حتى سنِّ الرابعةَ عشرة، وهي سنّ التمييز والإدراك، ونموِ العقلِ والفهم، فالواجبُ على الأبوين تربيةَ عقله، فليس المقصود من التربية كما يفهمُه الكثيرون الطعامُ والكساء والراحة، بل لا بُدَّ من غذاءٍ عقليٍّ له، لينمو عقلُه، وتتحسَّنَ أخلاقُه.

ومن الْمعلوم أنَّ الله تعالى كما نوَّع وشكَّل خِلْقةَ أطْفالنا، فمنهم السمين والنَّحيل، ومنهم الطويل والقصير، ومنهم الأبيض والأسمر، فإنه نوَّع وشكَّل أخلاقَهُم وطَبَائعهم، فمنهم الحليم والغضوب، ومنهم العاقل والأحمق، ومنهم السَّهل والعَسِر.

ولكنَّ الفرقَ بين الأمرين: أنَّ خِلْقتَهم لا نملك تغييرها ولا تعديلها، وأما أخلاقهُم وطبائعهم فإننا نملك تغييرها وتطويرها والعمل على تنميةِ الحسن منها، والحدِّ من السِّيِّئ والقبيح منها، وهنا يأتي دور الآباء والأمهات والْمُربين في ذلك، فإذا لاحظوا خُلُقاً طيِّباً شكروه عليه،

ودَعموه وشجَّعوه، وإذا لا حظوا خُلُقاً سيِّئاً نصحوه برفقٍ ولين، وتركوا انْتقادَه وتعييره به.

۞ **المرحلة الثالثة**: صاحبه سبعاً؛ أي: من سن الرابعةَ عشرة، إلى سنِّ الحاديةِ والعشرين، هذه المرحلة تبدأ مع المراهقة، حيث تتفتح الغرائز، ويُحاول الشابُّ إثبات نفسه، فعلى والديَه أن يستمعوا إليه، ويحترموا آراءه، ويصبروا على غرابةِ طبعه، وجفاء أخلاقه، كي لا يتمرد، ويتعرض للانحراف السلوكي والأخلاقي.

وأكثرُ الآباء يشتكون تمَرُّد أبنائهم الْمُراهقين، وسوءَ سلوكهم وأخلاقِهم، والسبب في ذلك: أنهم لم يُحسنوا التعامل معه في الْمرحلتين السابقتين أو إحداهما، حيثُ تعاملوا معه بجفاءٍ مُفرط، أو دلالٍ مُفسد، وأهْمَلوا تربيته التربية الصحيحة النافعة، بل هي تربيةٌ عشوائية، بلا خُطَطٍ مدْروسة، وبرامج هادفة، فإذا لم يُؤسَّس على أُسسٍ صحيحة ومدروسة، وواجه طوفان الْمُراهقة، الْمليئةَ بالإثارةِ والهوى، والعُجبِ والنشوةِ والقوة فإنه لن يَمْلك نفسه وهواه، ويصعبُ إقناعُه وتغييرُ طبعه وسلوكِه.

وصدق القائلُ: أَدِّبوا أولادكم صغاراً، تَقَرُّ أعينُكم بهم كباراً.

قدْ ينفَعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ... وليسَ ينفعُ في ذِي الشَّيْبَةِ الأدبُ

إنَّ الغُصُونَ إذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَها الْخُشُبُ[١]

وقال بعض السلف: بِرَّ ولدك، فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عق ولده[٢].

---

(١) المنتظم ١٢/ ١٣٣.

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٤.

نعم! أليس من عقوق الوالد بولده عدمُ تربيته التربية الصحيحة؟، وفتحُ المجال له أمام ما يهواه من الشهوات والشاشات، والأموال والملذات؟، أليس من العقوق ـ أيها الأب ـ أن تكون فظّاً غليظاً معه؟ أليس من العقوق أنْ تَمْنعه من اللحاق بحلقات القرآن، والأصحاب الصالحين الذين يكونون معه على الخير والبر؟ فأنت عققته في الصغر، فلا تلُمْه إنْ عقَّك في الكبر.

فالواجب أنْ نُراعيَ أبناءنا في سنِّ الْمُراهقة، حيث إنها مرحلةٌ حسَّاسةٌ خطيرة، وأخطر مرحلةٍ يمر بها الأطفال: هي مرحلةُ المراهقة المتوسطة، وهي من سن الرابعةَ عشرة، إلى سن السابعةَ عشرة، وهي مرحلة الشباب المتدفق، ومرحلةُ التطورات والتغيُّراتِ السريعة، التي تطرأ على المراهق جسمياً ونفسياً، مما يؤثر على مزاجه وأعصابه.

ولهذه المرحلةِ خصائصها ومُشكلاتها، لذلك لا بد من التعامل مع هذه المرحلة، على أسُسٍ عِلْميةٍ وتربوية، بعيداً عن التخبط والعشوائية، فإنْ مرَّتْ هذه المرحلةُ بسلام، فهي علامةٌ على صلاحه ورجاحةِ عقله.

ونحن إذا عرفنا خصائص هذه المرحلة، سَهُلَ علينا التعاملُ معه.

فمن أبرز خصائص المراهق:

١ ـ الطاقةُ الْمُفرطةُ في جسده وعاطفته، فالمراهق في هذه المرحلة، لديه طاقةٌ جسدية وعاطفية، فإن لم تستغلَّها وتستثمرها أيها الأب، وتركته يُصارع الفراغ، ويُصادق من شاء من الأصحاب، فقد قتلته بلا سكين، وسيُتعبك بعد ذلك ولو بعد حين.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أن تُحيط ابنك بالرعاية والاهتمام والاحتواء، دون دلالٍ مُفرط.

وأنْ تكون قريباً منه، وأنْ يُصاحبك في ذهابك وإيابك، وأنْ تكون

معه كالصديق الْمُؤْنس، والرفيق الْذي يبوح لك بأسراره، ودع الرسْميَّاتِ، فإنها لا تكون بين الولد ووالده، ولا بين الزوج وزوجه.

٢ ـ الاستقلاليَّةُ والغرور، حيث يطغى عليه الاعتزازُ بالنفس، ويغلب على سلوكه محاولةُ إثباتِ وجوده، ويرغب في المنافسة حتى يلفِتَ الأنظار، فيفضِّل أن يقوم بأعمالٍ لافتةٍ للنظر؛ كاللبس، وإطالة الشعر، والعنايةِ بسيارته وأدواته، ويميل إلى السلوكِ العُدواني، لِيُثبت شخصيتَّه واسْتقلاليَّته.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تُشعره بالثقة بالنفس، وأنْ تستشيره وتأخذَ برأيه، وأنْ تُراقبه بهدوء، وأنْ لا تُشعرَه بأنه يسبب لك القلق.

٣ ـ أنه يبحث عن قُدْوةٍ يحتذي به، إما بالخير وإما بالشر.

وهنا يأتي دورك أيها الأب والمربي، في أنْ تكون قدوةً صالحةً لابنك، وتُقنعه في أن يختار القدوةَ الصالحة له، حتى لا يلجأ إلى أمثلةٍ غربيةٍ أو شاذةٍ.

٤ ـ أنه يحب المغامرة وخَوْض التجارب، ولا ينظر إلى خطورتها ومآلاتها.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تُشجع فيه روح الشجاعة والمغامرة، وأنه لو سخَّرها فيما ينفعه لأصبح رجلاً ذا شأنٍ ويُشار إليه بالبنان.

وتجنَّب وصْفَه بصفاتٍ تثيرُ فيه الغضاضة والكره، كأن تصفه بالمتهور والعنيد وغير ذلك، فلن يزيده ذلك إلا إصراراً وعناداً.

٥ ـ كسْرهُ للقيود الروتينيَّة التي حوله، ولا يتقيد بالمألوف المعتاد، بل يحب الغرائب.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تُنَمِّيَ فيه ذكاءه وحبه للتغيير والابتكار، لكن نبِّهه أنْ لا يتجاوز الحدود المسموحة شرعاً وعقلاً، كأن يلبس لباساً فيه تشبه بالكفار، أو يعمل عملاً يزدريه فيه الناس والمجتمع.

٦ ـ رغبتُه في الاستقلال عن المنزل، وحبُّه للعُزلة، وانتماؤه لأصدقائه تكون أكبر.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تُهيِّأ له ولِأصدقائه مكاناً مُناسباً، يشعرون بنوع اسْتقلال، ورحِّب بأصدقائه، وأكرمهم واخرج معهم.

٧ ـ التقلُّب الشديد والمزاجيةُ في عواطفه ومشاعره بسبب الحساسية المفرِطة، والثقة القليلة فيمن حوله، فتجده يحبُّ بشدة، ثم لا يَلبث أن يكره بشدَّة.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ لا تُؤاخذه في هذه الفترة على ما يُبديه لك من كلامٍ لا ينبغي؛ لأنه لا يتكلم من قناعةٍ، بل من عاطفة، فإن قابلته بالشدة والردّ العنيف: تحول ما قاله من كلامٍ عابرٍ عاطفيّ إلى قناعةٍ مُستقرةٍ.

ولا بدّ من إعطائه الثقة بنفسه، والأخذ برأيه، والعمل باقتراحاته، ولو لم تكن صائبةً تماماً.

٨ ـ ينفُر من العمل، ويُكثر النوم والكسل.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ لا تصفه وتُطلق عليه أنه كسولٌ ولا يحب العمل، ولا تكثر عليه من الإلحاح بأن يعمل بجدٍّ.

ولكن حاول أن تُقنعه عبر الحوار والنقاش الهادئ أنه إن استمر

على كثرة النوم وترك العمل والاجتهاد في دراسته فسوف ينْدم في مستقبله، وأن سيفوته الرَّكْب، وسيرى زملاءه المجتهدين في وظائف مرموقة، أما هو فلن يجد أحداً يستقبله ويُوظفه إلا على مبلغٍ زهيد.

واعلم أن من أعظم أسباب كسل الشباب: كثرة جلوسهم في البيت، ومُشاهدتهم للقنوات، واللعب الذي لا حركة فيه؛ كاللعب في الألعاب الالكترونية.

فقلِّل من جلوسهم في البيت، وأبدل هذه الأجهزة بألعابٍ حركية، كأن تجمعه بأصدقاءٍ صالحين، يلعبون سويّاً في الكرة وغيرها.

٩ ـ العِناد والمخالفة، ومقاومة سُلطة الكبار والمربِّين، ويكره القيود والقوانين التي لا يقتنع منها.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تعطيه الزعامةَ والقيادة في بعض الأمور، وأن تكل بعض شؤون المنزل إليه، فهو لا يفعل ذلك إلا لشعورِه بالتهميش، وأن من حوله لم يعطِه أهمِّيَّةً.

١٠ ـ شديدُ العاطفة، لا يتحمل الإثارة والغريزة.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أنْ تُبعده من العزلة والفراغ، الذي يُتيح له الفرصة في التفكير بما يُثير غرائزه، وأنْ تربطه بالله تعالى، فإن العاطفة الجيَّاشة، والغريزةَ الْمُستعرة لا تُطْفأُ بمثل التعلق بالله وحده، والتذكير بجنَّته، والتخويف من عذابه.

وتُطْفأُ كذلك بِمَلْءِ فراغه، وإبعادِه عن الأشياء المثيرة كالقنوات الهابطة، والصور الفاضحة.

١١ ـ يُبالغ في التسلِية والمرَح والمزاح، والضحك بصوت مُرتفع.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أن تُشعره بأنك تفرح لفرحه، وأنَّ ما يجده من الفرح والسرور ناجمٌ عن راحته النفسية،

وتطلب منه أن يكون الضحك بصوتٍ منخفض، ولا تُظهرْ له غضبك حيال رفعه للصوت أثناء الضحك.

١٢ ـ الاكتئاب واليأس، والقلقُ والضَّجر.

والطريقة النافعة في التعامل مع هذه الصفة: أن تعلم أنَّ السبب في ذلك: هو ما يُعانيه غالباً من العجز عن التعبير عن نفسه، وكتمانه لانفعالاته ومشاكله، والشدة والحزم من قِبل أهله، والفراغ والخوف من المستقبل.

فإذا عُرف السبب سهل العلاج، فينبغي أنْ يُعطى الحرية في التعبير عن آرائه ومُقترحاته، وأنْ يقترب منه والداه ويطلبا منه البوح عما في خاطره وعن مشاكله.

وأنْ يُعامل بالرفق واللين، وأنْ يحرصوا على ملأ فراغه، وأنْ يُذكِّروه بما يمتلكه من صفاتٍ إيجابية وحسنه، ويُحيوا فيه روح الأمل، وعدمَ الخوف من المستقبل.

وكلُّ هذه المظاهر وغيرها: تُربك وتُرهق المراهق، وتجعله متوتِّراً ومتقلِّباً في أغلب حالاته، وتجعل من الصعب فهمه والتفاهم معه، ولكنْ بالتربية الطيبة المليئة بالحب والتفاهم والحوار، وتقبُّل الوالدين له وما يصدر منه، والصبر عليه: يتمكن المراهق من التغلب على هذه الصعوبات والأخطار، ومِن ثَمَّ النجاح في الحياة العلميَّة والمهنيَّة والدينية.

ففهم نفسية الولد، ومعرفة ما يعتريه ويواجهه من صعوباتٍ داخليةٍ وخارجية تعين الوالد على كيفية التعامل معه، وتسهل عليه الوصول إلى العلاج الناجع له.

فكونوا ـ معاشر الآباء والأمهات ـ عوناً لأبنائكم المراهقين في هذه

المرحلة العصيبة عليهم، وقفوا معهم، وتحمَّلوا ما يبدر مِنهم مِن تصرفاتٍ لا تُناسبكم، ولا تكونوا عوناً عليهم فتخسروهم، وصارمين معهم فَتُنفِّروهم.

والقواعد الآتية هي مُنصبَّةٌ في أفضل وأنجح الطرق في التعامل معهم، في جميع مراحلهم، وبخاصةٍ مرحلة المراهقة المقلقة للآباء والأمهات.

❁ ❁ ❁



القاعدةُ الثانية:

برُّوا آباءَكم تبركم أبناؤكم فالجزاء من جنس العمل، والحياة دَين ووفاء، فمن برَّ والديه برّه أبناؤه، قال رسول الله ﷺ فيما يُروى عنه: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم». رواه الحاكم وصححه[١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَزَاءُ مُمَاثِلاً لِلْعَمَلِ مِنْ جِنْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِماً أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِماً ضَارَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ اسْتَقْصَى اسْتَقْصَى اللهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا شَرْعُ اللهِ وَقَدَرُهُ وَوَحْيُهُ وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ.اهـ[٢].

(١) (٧٢٥٨).

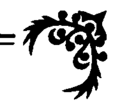
(٢) أعلام الموقعين ١/ ١٥٠.

وإنك لا تكاد تجد مَن عقَّ والديه إلا رُزق بأولادٍ يعقُّونه، ويُنغِّصون عليه حياته، ولا تكاد تجد من برَّ والديه إلا رُزق بأولادٍ بررَة، ويُدخلون عليه السرور والبهجة.

وكم مِن إنسانٍ عامَل أبناءه بأرقى الأساليب، وأحسن التعامل، ولكنه في النهاية لم يُوَفَّق في كسب وُدِّهم، وصلاح حالهم، ولو فتَّش لرأى السبب الرئيس في ذلك: تقصيرُه في حق والديه، أو عدمُ اعتمادِه على الله سبحانه في تربيتهم، بل اعتمد على ثقافته وشخصيَّته.

وإنه لا سعادة ولا فوز ولا توفيق لك إلا في رضا والديك عنك، فكم من أناسٍ حُرموا لذة الحياة الدنيا، ولذة الأنس بأولادهم، والتوفيق في حياتهم، والأعمال الصالحة التي تُقربهم إلى ربهم، بسبب عقوق الوالدين وعصيانهما، فهم من نكد إلى نكد، ومن مصيبة إلى أخرى، فكانت عاقبتهم وخيمة، وخاتمتهم سيئة، بسبب عقوق الوالدين.

❊ ❊ ❊



القاعدة الثالثة:

الرفق واللينُ في التعامل قال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم[١]

فالرفق في كلِّ شيءٍ يَزينُه ويُصلحه، حتَّى في حال الغضب والعتاب، واللومِ والعقاب، وهذا يدل على أنه من أفضل ما تحلَّى به العبد، واسْتعمله في أموره كلِّها.

بل أوصى به عَائِشَة ﵂ فقال: **«يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَالرِّفْقِ»**[٢].

فقَرَن الرفق بتقوى الله تعالى؛ لأنه بالتقوى يُصلح ما بينه وبين الحق، وبالرفق يُصلح ما بينه وبين الخلق. ولا يدخلُ الرفقُ بيتاً إلا دخل معه الخير والتوفيق، قَالَ ﷺ: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»**[٣].

فحريٌّ بمن حُرم الرفقَ واللِّين: أنْ يُحرَم الخير في دينه ودُنياه، قال ﷺ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»**. رواه مسلم[٤].

---

(١) (٦٧٦٧).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٣٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٣٨٨٧).
(٣) رواه الإمام أحمد (٢٤٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣).
(٤) (٦٧٦٣).

والرِّفق: لين الجانب بالقول والفعل، والأَخذُ بالأَسهل، وهو ضد العنف، وهو الشدة والقسوة، فصاحب الرفق يدرك حاجته أَو بعضها، وصاحب العنف لا يدركها، وإِن أَدركها فبمشقة، وحريٌّ أن لا تتم.

فهذا هو النهج الذي يجب علينا أنْ نستعمله مع أبنائنا وزوجاتنا.

القاعدةُ الرابعة:

التوسُّطُ في التعاملِ معهم، فمن زاد عن الحدِّ والْمَعقول: فقد ظلمهم وأجحف في حقِّهم، ومن نقص عن ذلك وتهاون: فقد أفسد وفرَّط وقصَّر

والتوسُّط في كلِّ شيءٍ: منهجٌ شرعيٌّ ربَّانيّ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال ﷺ: «**الوَسَطُ العَدْلُ**». رواه البخاري[1].

فالله تعالى أكرمنا وتفضَّل علينا بأنْ جعلنا مُتوسطِّين مُعتدلين في كلِّ شيءٍ، وما عدا الوسط فأطرافٌ داخلةٌ تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كلِّ أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين مَن غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وجعلها وسطاً في أمورِ العبادات والدين، والأخلاق والسلوك، والتعامل والتربية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَكُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ مُكْتَنَفٌ بِخُلُقَيْنِ ذَمِيمَيْنِ. وَهُوَ وَسَطٌ بَيْنَهُمَا. وَطَرَفَاهُ خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ.

فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى انْحَرَفَتْ عَنِ التَّوَسُّطِ انْحَرَفَتْ إِلَى أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ الذَّمِيمَيْنِ وَلَا بُدَّ، فَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ التَّوَاضُعِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى كِبْرٍ وَعُلُوٍّ، وَإِمَّا إِلَى ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ.

(١) (٣٣٣٩).

وَكَذَلِكَ إِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الصَّبْرِ الْمَحْمُودِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى جَزَعٍ وَهَلَعٍ وَجَشَعٍ وَتَسَخُّطٍ، وَإِمَّا إِلَى غِلْظَةِ كَبِدٍ، وَقَسْوَةِ قَلْبٍ، وَتَحَجُّرِ طَبْعٍ.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْحِلْمِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى الطَّيْشِ وَالْحِدَّةِ وَالْخِفَّةِ، وَإِمَّا إِلَى الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَالْحَقَارَةِ. فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ حِلْمُهُ حِلْمُ ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ وَعَجْزٍ، وَبَيْنَ مَنْ حِلْمُهُ حِلْمُ اقْتِدَارٍ وَعِزَّةٍ وَشَرَفٍ.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْأَنَاةِ وَالرِّفْقِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى عَجَلَةٍ وَطَيْشٍ وَعُنْفٍ، وَإِمَّا إِلَى تَفْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ. وَالرِّفْقُ وَالْأَنَاةُ بَيْنَهُمَا.

وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الرَّحْمَةِ انْحَرَفَتْ: إِمَّا إِلَى قَسْوَةٍ، وَإِمَّا إِلَى ضَعْفِ قَلْبٍ وَجُبْنِ نَفْسٍ، كَمَنْ لَا يُقْدِمُ عَلَى ذَبْحِ شَاةٍ، وَلَا إِقَامَةِ حَدٍّ، وَتَأْدِيبِ وَلَدٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّ الرَّحْمَةَ تَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ ذَبَحَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ ﷺ بِيَدِهِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ثَلَاثاً وَسِتِّينَ بَدَنَةً، وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَضَرَبَ الْأَعْنَاقَ، وَأَقَامَ الْحُدُودَ وَرَجَمَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى مَاتَ الْمَرْجُومُ، وَكَانَ أَرْحَمَ خَلْقِ اللهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَرْأَفَهُمْ.

وَكَذَلِكَ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالْبِشْرُ الْمَحْمُودُ. فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ التَّعْبِيسِ وَالتَّقْطِيبِ وَتَصْعِيرِ الْخَدِّ، وَبَيْنَ الِاسْتِرْسَالِ بِذَلِكَ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، بِحَيْثُ يُذْهِبُ الْهَيْبَةَ، وَيُزِيلُ الْوَقَارَ، كَمَا أَنَّ الِانْحِرَافَ الْأَوَّلَ يُوقِعُ الْوَحْشَةَ وَالْبِغْضَةَ، وَالنُّفْرَةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْوَسَطِ: مَهِيبٌ مَحْبُوبٌ، عَزِيزٌ جَانِبُهُ، حَبِيبٌ لِقَاؤُهُ.

وَفِي صِفَةِ نَبِيِّنَا ﷺ: مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةً أَحَبَّهُ. اهـ[1].

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - مزيدُ أمثلةٍ للتوسُّط في تربية الأبناء، والتعامل معهم.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٩٧.

القاعدةُ الخامسة:

أنْ يكون هدف الْمُربي من تربيته لأبنائه: أنْ يكونوا صالحين مُصلحين، مُستقيمين لله طائعين، وأنَّه يريد إنقاذهم من النار، مُستحضراً أمر الله تعالى له بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ **[التحريم: ٦]**

ومن كانت هذه نيتُه، وهذا مَقْصِدُه: فإن الله تعالى يُعينه ويسدده، وتَسْهُلُ عليه تربيته لأبنائه، فإنَّ مِن أعظم الأشياء التي تعين العبد: صلاحُ نيتِه ومقصدِه.

وأكثرُ الآباء يَغْفُلون عن هذه النية، ولا يَستحضرون معنى العبادة في تعاملهم وتربيتهم، فيُحرَمون خالص الأجر والثواب، ويُحرمون التوفيق والإعانة والسداد.

فهم يُربونهم بعشوائيةٍ وتخبُّط، حتى إنهم لا يستحضرون النية عند جلب الطعام والكساء لهم، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»**. رواه مسلم[١].

ومن ربَّى أبناءه على قواعد صحيحة، وأساليبَ مدروسة: فالغالب

---

(١) (٢٣٥٨).

أن مَقْصِدَهم من ذلك أنْ يكون أبناؤهم متميزين دراسيّاً وسلوكيّاً، وأنْ يكونوا مُطيعين طيبين، وأنْ يَسلموا من شرهم وأذاهُم، وهذه النية لا تكفي، فأين نيتهم أن تكون تربيتهم لأجل الله؟ وأنْ يُعلموهم تعاليم الإسلام؟ وأنْ يُصلح الله بهم العباد والبلاد؟.

فحريٌّ بمن لم تكن هذه نيته أنْ لا يُعان، وأنْ يجد جُهداً وعنتاً في التربية، ولو نشئوا كما أراد فلن يَعودوا عليه بالنفع والبر الكبير، فرُبَّما اسْتقلّوا في كِبرهم، وانْشغلوا في عملهم، فإنْ أحسنوا إليه رأوه في السنة مرةً أو مرتين.

ولا تكفي النيةُ الصالحةُ وحدها في التربية دون فعل الأسباب، ومن أعظم الأسباب: أنْ نُربِّيَهم ونُدرِّبهم على الأخلاق الحسنة، والآداب الطيبة؛ كأدب الاستئذان، وآداب الطعام، والسلام، وزيارة الأقارب، وعيادة المرضى، واحترام الآخرين.

ونُربِّيهم ونُدرِّبهم على العبادات؛ كالصلاة والصيام والصدقة.

فهذا واجبٌ على جميعِ الآباء والأمَّهات.

قال ابن عمر رضي الله عنه لرجل: يا هذا! أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برِّك[1].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: كان يقال: من حق الولد على الوالد: أن يحسن أدبه[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

القاعدةُ السادسة:

أنْ نُعوِّدهم على مراقبة الله لا مراقبتنا،
وعلى الْمُراقبة الذاتية، لا مراقبة ما يقوله الناس

فمن المعلوم أن الطفل عندما يكبر، وبخاصةٍ إذا وصل إلى سنِّ المراهقة، فإنه سَيُحاول ويسعى في توسيع مَداركه وحُرِّيَّتِه، وينشئ استقلاليته، وهذا بحدِّ ذاته أمرٌ طبيعي وإيجابيّ.

ومن المعلوم أنه سيحصل على الكثير من الحريات والامتيازات في الوقت المعاصر، أكثر مما كان عليه الوالدان في السابق، وهذا ناتجٌ عن الْمُتغيرات والْمُستجدَّات التي تحدث كلَّ يومٍ في الحياة.

فأكثر أوقات الْمُراهق لا يكون فيها مُراقب، فلا يُمكن للوالدين أنْ يُراقباه في مدرسته، وأثناء الزيارات العائلية، وخلال وجوده مع الشبكةِ العنكبوتيةِ والتلفاز، فلن ينفع إغلاقُ القنوات ولا الجوالات؛ لأن هذا العصر، عصرُ الانفتاح على العالم من حولنا، فبدلاً من إخباره دوماً أننا نُراقبه، وأننا إذا علمنا عن أيِّ تصرفٍ سيِّئٍ يقوم به، سَنَمْنعه من الخروج، أو من الجوالِ وما شابه ذلك، فنحن جعلناه يُراقبنا، ويُثبت لنا أنه لا يقترف إثماً أو خطأً، وهو يستطيع فعل ذلك بكلِّ سهولةٍ، ونحن لن نتمكن من منعه مهما كان، إذن، فلما لا نُعلقه بالله؟ ونُخبره بأننا لن نطلع عليه، ولكنَّ الله وحده هو المطلع؟

فلا بدَّ أنْ نزرع فيه الرقابة الذاتية، وهي غرس القيم الأخلاقية،

التي تدفع الطفل على أن يراقب سلوكه ذاتياً، من غير أن يكون الدافع لسلوكه رقابة الآخرين له، سواءً من الوالدين أو عموم الناس والأصدقاء.

إننا إذا فعلنا ذلك: سنغرس في قلبه الخوف من الله، ومراقبته والحياء منه.

ولْنستمع إلى لقمانَ الحكيم، وهو يُخاطب ابنه، ويربيه على مراقبة الله تعالى، ويغرسُ في قلبه الخوف منه وحده: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

تأملوا هذه الوصية العجيبة: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ إنه الأسلوب اللطيف اللين، ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾؛ أَيْ: إِنَّ الْخَطِيئَةَ والْمعصيةَ لَوْ كَانَ حجمُها مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مُحصَّنَةً مُختفيةً فِي دَاخِلِ صَخْرَةٍ صَمَّاء، أَوْ غَائِبَةٍ فِي قعر الْأَرْضِ أَوِ أرجاءِ السماء: فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السموات وَلَا فِي الْأَرْضِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾؛ أَيْ: لِطَيْفُ الْعَلَمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقت وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ، ﴿خَبِيرٞ﴾ بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ[١].

ومن أفضل الوسائل الْمُجرَّبة الْمُفيدة في تربيتهم تربيةً دينيةً صحيحة، وتعزيزِ مُراقبة الله في قلوبهم: أنْ يغرس الوالدان مكانة الجنة وحُسنها، والنار وقُبحها، في قلوبهم، فكلَّما أمروهم بأمرٍ من أمور الدين، أو نهوهم عن شيءٍ مُحرَّمٍ أو مكروه: ذكروهم بأنهم إذا فعلوا هذا الفعل الطيب والحسن فإن الله تعالى سيكافئهم بالجنة ونعيمها، وإذا ارتكبوا

(١) يُنظَر تفسير ابن كثير ٦/ ٣٣٨.

الأفعال القبيحة والمشينة فإن الله تعالى قد يُعاقبهم بالنار وعذابها.

ولا بدّ من تصوير الجنة ونعيمها والنار وجحيمها لهم، إما من خلال التوصيف والشرح، وإما من خلال رؤيتهم إلى نار الدنيا وجنانها وطبيعتها، وذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، فهي مليئةٌ من هذا النوع، فيُشاهدون ذلك بحضرة الوالدين أو أحدهما، ويقومون بالتعليق على ما يُشاهده أبناؤهم.

فسيكون عند الطفل أعظم باعثٍ على فعل الخير والأمور الحسنة، وطاعة الوالدين، وهو دخول الجنة التي قد تصوَّرها وتخيلها فيما رآه، وسيكون عنده أعظم رادعٍ عن فعل الشر والأمور السيِّئة، وعقوق الوالدين، ومُشاهدة أو لبس ما يحرم، وهو دخول النار التي قد تصوَّرها وتخيلها فيما رآه.

ولا بدّ أنْ نعلم أنّ الأطفال وبخاصةِ المراهقين مُهيَّئون تماماً للتديُّن والاستقامة على الدين بطبيعتهم وفطرتهم، يقول الدكتور معروف زريق في كتابه: «خفايا المراهقة»: «ويحقِّق الدِّين بالنسبة للمراهق ارتياحاً نفسيّاً واطمئناناً داخليّاً، بعد أزماتٍ عنيفةٍ مرَّت به، وأحدثت هزَّاتٍ في كِيانه، فهو ملاذٌ أمين يلجأ إليه المراهق كلما عَصَفت به مشكلة، وكما أنَّ الله ﷻ فجَّر العاطفة الجنسيَّة عند المراهق، فجَّر العاطفة الرُّوحية للتعلُّق به».اهـ.

ومن المراقبة الذاتية التي يجب أنْ نغرسها في أبنائنا: أنْ يتبعوا طريقة النقد الذاتي، وهي أنْ يَنْقُدَ أعماله وسلوكه بنفسه، فنخبره دائماً أن هذا التصرف أو السلوك السيئ: لا يليق به؛ لأنه عاقلٌ ومحبٌّ لله الذي خلقه، وهكذا، فنربي فيه الحياء من نفسه، وأنَّ له مكانةً وقدراً لا ينبغي له أنْ يفعل ما يُخل بهما، لا أن نربيه على مراقبة الناس، والحذر من نقدهم، فنقول له: إنك إذا فعلت ذلك ضحك عليك الناس، وعابوك

وذمُّوك، فربما تجنب السلوك السيئ أمامهم، لكنه إذا انفرد فعل ما هو أشنع وأعظم.

فلا تُصبح عنده الثقة الكافية بنفسه وبمواهبه وقُدراته، حيث يُسيطر عليه الخوف من الناس ونقدهم، فإن فعل شيئاً إيجابياً قال: هل هذا سيعجبهم وسترتفع قيمتي عندهم؟، وربما قال: أخشى أن يضحكوا مني ويقولوا: ما فعله إلا غروراً ورياءً!.

ولا يعني هذا أنْ نجعله لا يُبالي بالناس، ولا يُلقي لهم أهمِّيَّة، بل لا بدّ أنْ يحترمهم ويُقدِّرهم، لكن لا يكونوا هم مصدر التأثير عليه، بل مصدرُ التأثير عليه هو ذاتُه وقناعتُه وقِيَمُه، وقبل ذلك: ما يأمره به ربُّه ونبيُّه ﷺ.

وينبغي كذلك، أنْ لا نُبالغ في إحسان الظن بالأولاد، ولا إساءةِ الظنّ بهم، «فبعض الآباء يبالغ في إحسان الظن بأولاده، فتجده لا يسأل عنهم، ولا يتفقد أحوالهم، ولا يعرف شيئاً عن أصحابهم وذلك لفَرَطِ ثقته بهم، فتراه لا يقبل عدلاً ولا صرفاً في أولاده، فإذا وقع أولاده أو أحدٌ منهم في بلية، أو انحرف عن الجادة السوية، ثم نُبِّه الأب عن ذلك: بدأ يدافع عنهم، ويلتمس المعاذير لهم، ويتهم مَن نبَّهه أو نصحه بالتهويل، والتَّعَجُّل، والتدخلِ فيما لا يعنيه.

وهناك من يسيء الظن بأولاده، ويبالغ في ذلك مبالغةً تُخرجه عن طوره، فتجده يتهم نيَّاتِهِم، ولا يثق بهم أبداً، ويُشعرهم بأنه خَلْفهم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، دون أن يتغاضى عن شيءٍ من هفواتهم وزلاتهم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) التقصير في تربية الأبناء للشيخ محمد الحمد: ٥.



القاعدةُ السابعة:

أنْ لا تُكثر من الوعظ والتَّوجيه،
فإن القلب يَمَلُّ ويَتَبَلَّدُ بكثرة الوعظ والتَّوجيه

ولذلك كان النبي ﷺ يتخوَّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة، ويراعي أوقات النشاط، واللحظات المناسبة في تذكيرهم، ولا يفعل ذلك كلَّ يوم.

والذين يكثرون التوجيه والنصح، يتحاشى أبناؤُهم الجلوس معهم، خوفاً من العتاب وكثرة التوجيه.

واعلم أنَّ أشدَّ مرحلةٍ يكره فيها الابن النصائح المباشرة من والديَه هي مرحلة المراهقة، وكثيرٌ من الآباء يُكثرون من النصائح والتوجيهات حال جلوسهم مع أبنائهم، فالأب الفطن الْمربي: هو الذي يكون كلامه معهم مختصراً وبأهدافٍ مُحدَّدة.



القاعدةُ الثامنة:

أنْ نُعامل أبناءنا بالحبّ واللين، مع الشدَّةِ والحزم، وهما قرينان مُتلازمان، لا ضدَّان مُتنافران

فالتعامل باللين يكون هو الأصل والأساس، والشدةُ تكون عند الحاجة إليها.

فمن عامل أبناءه باللين والشفقة وحدها، فقد أفسدهم بالغرور والترف، ولم يُحْسنوا التصرف في المواقف الصعبة.

ومن غلَّب جانب الشدةِ والحزم، فقد جعل بينه وبينهم فجوةً وحاجزاً، وأصبحتْ طبائعهم غليظةً جافة.

فلْنكن مُتوسطين في التعامل، ولْنحرص على كسبِ محبة أولادِنا، وأنْ يستجيبوا لنا عن حبٍّ واحترامٍ وقناعة، لا عن خوفٍ ورهبة.

فالْمـُكْرَهُ والْمُجبَر: قد ينضبط أمامك خوفاً منك، لكنه إذا خلا بنفسه فعل المحذور؛ ولذلك ربط الله تعالى بين الاستجابة وبين الرحمة واللين بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فأخبر تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ أن الرحمة التي يُغْدقها رسوله ﷺ على أصحابه، ويغمرهم بها، واللين الذي يُعاملهم به: هما السبب الأكبر في استجابة أصحابه له، وانقيادهم وخُضوعهم له.

فهل بعد هذا نريد من أبنائنا أنْ يستجيبوا لنا، وينقادوا لنا عن

قناعةٍ ورضا، ونحن لم نغمرهم بالحب والرحمة، ونُعاملهم بمنتهى الرفقِ واللين؟.

فتأملوا معاشر الآباء والأمهات: كيف أن الله ﷻ، قد أيَّد رسولَه بالمعجزات والآيات، ومع ذلك، لو كان في كلامه غِلظة، وفي قلبه قسوةٌ وشدَّة: لتركه أصحابُه وأحبابُه، وانفضُّوا من حوله، والواحد منهم يَفديه بنفسه وماله، وهو أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم.

فأنتم مع أبنائكم من باب أولى، فإذا ساءت أخلاقكم معهم، وقست طبائعكم، فإنَّ أولادَكم سينفرون منكم لا مَحالة.

وبعض الآباء يتفاخر بأن أبناءه لا يعصون له أمراً، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد أخذ الإذن منه! لخوفهم منه ومن عقابه.

وهو لا يعلم أنه بهذا يقتل كثيراً من قُدراتهم ومواهبهم، فالخوف والرهبةُ: حجر عثرةٍ أمام الطفل تمنعه من الإبداع والجرأة والتفكير، وتحطم كيان الحب والعاطفة والرحمة التي بداخله.

ولو كانوا يفعلون ذلك هيبةً منه، وحبّاً وتقديراً له، مع شيءٍ من الخوف من تكدير خاطره لحُقَّ له أنْ يفخر ويفرح بذلك.

فالمحبة الصادقة التي يلمسها الطفل من والدَيه في صغره: لن ينساها في كِبَره.

ولذلك نرى الْمُربيَ الأعظمَ ﷺ يُظهر الحب والشفقة على الأطفال حتى عند الآخرين، كَانَ ﷺ يَخْطُبُ أمام أصحابه يوماً، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ﭭ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ وذلك لصغرهما وطولِ قَمِيصِهِما، فقطع ﷺ خطبة الجمعة، ونَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ صعد الْمِنبر وقَالَ: «صَدَقَ اللهُ: ﴿أَنَّمَآ

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] **نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»**(١).

والآباء لا يُطالَبون بمثل هذا، ولكنْ يُطالبون بإظهارِ الحبِّ لهم، وإخبارِهم بأنهم يُحبُّونهم ويَعطفون عليهم.

فينبغي للْمُربي الناجح: أنْ يبنيَ علاقته مع أولادِه على الحب والرحمة، لا على العنف والقسوة، وإذا كبر الطفل فأصبح شاباً، فحاجته للحب والْعطْف تكون أكثرَ وأشدَّ.

ولا يمكن للتربية أن تتم بدون حبٍّ ومودَّةٍ ورحمةٍ، فالطفل الذين يلْمس من مُربيه عاطفةً واهتماماً، ويسمع منه عبارات الحب والعاطفة ينجذب نحوه، ويُصغي إليه بسمعه وقلبه، ويَبُوح إليه بأسراره وهُمومه، ولا يتحرَّج من ذلك أبداً.

وقد كان النبي ﷺ بحقٍّ نبي الرحمة والحبّ والعطف، فمع كثرة مَشاغله، وانْهماكه بالتعليم والغزو والدعوة: فإنَّك لا تكاد تجد أنه مرّ على صبيٍّ أو قابله، أو أُتي به إليه إلا وتبدر منه بادرةٌ تدل على رحمته وعطفه بهم، من مسحٍ للرأس ودعاءٍ وتقبيلٍ، ليشعرهم بالحب والرحمة.

فعن أنسٍ ﷺ أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم(٢).

ومرَّ على جَعْفَرٍ ﷺ وهو صِبْيٌّ يلْعَبُ، فمَسَحَ عَلَى رَأْسه ثَلاثاً(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٩٩٥)، والترمذي (٣٧٧٤)، وصححه الألباني كما في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) رواه ابن حبان (٤٥٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وحسنه الألباني في التعليقات على صحيح ابن حبان (٤٦٠).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٧٦٠).

ومَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ رضي الله عنه وَدَعَا لَهُ، وذلك حينما ذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ وهُوَ صَغِيرٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

«وإن لَمْسةَ الحنانِ والحبِّ لها قُدرةٌ عظيمةٌ في بثّ السعادةِ والراحة والطمأنينة في نفس الطفل، وهذه اللمسة لها عميق الأثر على سلامةِ الطفل النفسية والعقلية والجسدية والروحية»[2].

ومع هذا كلِّه، فينبغي أنْ نكون حازمين معهم تجاه الأخطاء الفادحة، والسلوكيّات الْمَشينة، ولكن دون صُراخٍ ودعاءٍ عليه، بل بنهيه بصرامةٍ بعدم تكرار ذلك.

ومن الحزم أن لا نتراجع عن قرارٍ عقابيٍّ اتخذناه تجاه اقترافه لسلوكٍ خاطئ، ومهما اعتذر وأبدى أسفه فلا تراجُع، لئلا يكون ذلك ديدنه كلَّما أخطأ.

ولكن إنْ عوَّض عن سلوكه الخاطئ بأعمالٍ طيبةٍ، وعلمنا صدقه في اعتذاره فلا بأس أنْ نتراجع لكي نكسبه، ونشعره بأن الحسنات يُذهبن السيئات.

ولْنُعاقبه إذا لزم الأمر، ولكن لا بدّ أنْ نعاقبه بعد أنْ يُقرّ بخطئه، حتى لا يشعر بالظلم، ولْنُشعره أننا ما عاقبناه إلا لأنه ارْتكب شيئاً ليس من حقِّه، وتعدى على حقوق غيره.

ومَن فعل هذا عند عقابه لهم فإنَّ الحبَّ والعاطفة التي غرسها فيهم لن تزول.

ولا ينبغي الْمزاجيَّةُ والتذبذبُ في العقاب، فبعضُ الآباء يُعاقب

---

(١) رواه البخاري (٢٥٠٢).

(٢) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ١٢١.

ولده في حال الغضب، ولا يُعاقبه في حال الرضا، مع أنَّ الابن قد ارتكب نفس الخطأ في كلا الحالتين.

«ويجب أن يَحْترم جميع أطراف الأسرة وبخاصةٍ الوالدين العقاب الذي يقع على الطفل من أحدهما، فلا فائدة من العقاب الذي قد يُوقعه أحدُ الأبوين ثم يقوم الآخر بإرضاء الطفل؛ لأن ما سيتعلَّمه الطفل في هذه الحالة: هو كيف يستفيد من رقَّةِ قلْب هذا الطرف»[1].

فالثبات في تحديد الممنوع والمسموح، والوضوحُ والصرامةُ في العقاب، واحْترام جميع أطراف الأسرة العقابَ الذي يقع على الطفل: يؤدي إلى التقليل من المشاكل والأخطاء، والوقايةِ منها.

والعقاب ليس محصوراً بالضرب، بل هو آخر علاجٍ نلْجأ إليه، واسْتعمال الضرب بكثرة، هي حيلةُ العاجز والضعيف، وهي تضر في الغالب أكثر مما تنفع.

وقد قيل: الضرب للتأديب: كالملح للطعام؛ أي: أنَّ القليل منه يكفي، والكثير منه يفسد.

ومن أراد العقاب بالضرب سواءً بالعصا أم باليد فلا بدّ أنْ يتنبه ويُراعي ما يلي:

١ ـ أن يكون الضربُ وسيلةَ علاجٍ وإصلاحٍ، وضرورةً تربويةً لمصلحة الطفل، وليس وسيلةَ انتقامٍ يُقصد بها تفريغ شحنة غضبِ الْمُربي وإراحةَ نفسه.

٢ ـ لا تَضربه حال شدّةِ الغضب.

٣ ـ لا تضربه إنْ وعدتَّه بعدم الضرب؛ لئلا يفقد الثقة بك، كأن تقول له: اعترف ولن أضربك.

---

(١) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ١٤٧.

٤ ـ مراعاة حالة الطفل النفسية والجسمانية، وسبب خطئه، وهل يستحقّ خطؤه الضرب.

٥ ـ لا تَضربه إذا كان الخطأ للمرة الأولى، بل يُنبَّه على عدم التكرار وإلا واجه العقاب.

٦ ـ لا تَضربه أمام أحدٍ أيّاً كان، صيانةً لكرامته أمام نفسه، وأمام غيره من أصحابه وغيرهم.

٧ ـ أنْ لا يكون الضربُ مبرحاً ومُهيناً، وتَجَنَّب الوجه؛ لأنه يحرم ضربه، لنهي النبي ﷺ.

٨ ـ أنْ يكون بعد إقراره بالذنب والخطأ؛ لئلا تكون ظالماً.

٩ ـ أنْ تنسى الذنب والخطأ بعد الضرب، ولا تذَكِّره به بعد ذلك.

١٠ ـ لا تمنعه من البكاء إذا بكى أثناء الضرب وبعده؛ فإنه مُتنفَّسٌ له، وكتمانُه يضره.

١١ ـ لا تُجبره على الاعتذار منك، أو تقبيل رأسك بعد الضرب؛ لأنَّه سيفعل ذلك عن إكراهٍ لا عن قناعة، ويُشعره بالذلّ والمهانة.

١٢ ـ أنْ لا يكون الضربُ إلا بعد اسْتِنْفاد جميع الوسائل التأديبية الأخرى كالحرمان، والوقوف لفترةٍ محدودة.

١٣ ـ أنْ لا يكون على حين غفلةٍ منه، ودون انتباهٍ وشعورٍ وعلم، مما يُصيبه بصدمةٍ نفسيَّةٍ، أو هلعٍ شديد.

والعقاب بالحرمان: أثبت نفعه وفائدته، فلْيكن هو الأساس في العقاب.

ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ. رواه مسلم[١].

---

(١) (٦١٩٥).

فلم يستعمل النبيُّ ﷺ الضرب أبداً، لكنه اسْتعمل عقاباً آخر هو الهجر، فقد هجر نساءه شهراً، وهجر الثلاثةَ الذين خُلِّفوا.

ومهما اقترف الابن من ذنبٍ فلا بدّ أن يكون العقاب في حدود الرحمة والرفق كما قيل:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازماً   فليقس أحياناً على من يرحمُ

وإذا بكى جرَّاء العقاب البدنيّ أو النفسيّ فلا ينبغي منعه من ذلك، بل هو «صمام أمانٍ يُفرِّغ جزءاً من شحنات الغضب أو الحزن أو الألم أو الحقد، ويغسل القلب كما يغسل العين، فيرتاح الطفل بعد تفريغه تلك الشحنات وهذا هو الجانب الإيجابيّ لبكاء الطفل»[١].

وأخيراً: فكما أنك عاقبت ابنك على الخطأ، فكافئه على الصواب، فلا بدّ من التوازن والعدل.

«وأيَّةُ عمليةٍ تربويةٍ لا تأخذ بمبدأ الإثابة والعقاب في ترشيد السلوك بصورةٍ متوازنة وعقلانيةٍ: فإن الانحراف سيكون نتاج هذه التربية.

والعقاب ليس هو أول ما يلجأ إليه المربي، إنما يبدأ بالإثابة إلى أنْ يَحتاج إلى العقاب، وإن احتاج إلى العقاب فلا يبدأ بالعقوبة الحسية، بل ينبغي أن يبدأ بالعقوبة المعنوية إلى أن يحتاج إلى العقوبة الحسية»[٢].

* * *

(١) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ٦٧.
(٢) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ١٦٤.

القاعدةُ التاسعة:

وضعُ قوانين وأنظمةٍ خاصةٍ في البيوت،
يضطر الأبناء إلى اتِّباعها، والتقيُّد بها

فلا بد أن تكون هناك قوانين في بيوتنا للحدّ من ارتكاب المخالفة، وأنْجَح القوانين هي التي يشترك في وضْعها الوالدان والأبناء، وتكون محل اتفاقٍ بينهم، والكلام الهادئ، والحوارُ البنَّاء من أهمِّ الأساليب في وضْع الاتِّفاقات.

وتكون معقولةً ومنطقية، وتكون ثابتةً، لا تخضع للأهواء والمزاج الشخصي، كأن نرضى بمخالفة ما اتَّفقنا عليه عندما نكون فرحين، ونُصِرُّ عليه عندما نكون غاضبين.

ومن المزاجية عند بعض الآباء أو الأمهات: «أنْ يجعل العوامل الذاتية الْمرتبطة بمزاجه الشخصي دافعاً للنهي، كأن ينهى الطفل عن ممارسة حقه في اللعب لمجرد أنه مُتوترُ الأعصاب»[١].

وكلُّ بيئةٍ لا تخضع لقوانين وأنظمةٍ: فإنها ستكون فاشلةً وعشوائية، فقد يُضرب الطفل يوماً، وقد يُمنع من شيءٍ يريده، وأحياناً يُصرَخ في وجهه؛ لأنه عمل شيئاً يَظُنُّه مسموحاً له، وكلُّ هذا وهو لا يعرف السبب المقنع في ضربه أو منعه أو الصراخ في وجهه!!.

---

(١) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ١١٧.

والسبب في ذلك: أنه لا يعرف بالدقة ما هو مسموحٌ له وما هو ممنوعٌ منه، ما هو واجبٌ له وما واجبٌ عليه.

ومن **أهمِّ الأمور**: أنْ تُقوِّمَ أبناءك كلَّ فترةٍ، وتنظر إلى تغيُّرِ سلوكهم وتصرُّفاتهم، هل هي إلى الأحسن أم إلى الأسوأ، فتعلم حينها مدى جدوى تربيتك وقوانينك وتعاملك.

وإني أضعُ بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ هذا الجدول الذي يُساعدك على ذلك، وقد وضعته لأولادي، وجرَّبته فرأيت له أثراً كبيراً:

الاسم: التقويم يبدأ من تاريخ: / / إلى تاريخ: / /

التصرف والسلوك	ممتاز						جيد						ضعيف						التقويم النهائي		
																			ممتاز	جيد	ضعيف
السرعة في الاستجابة وعدم السَّفْه																					
الترتيب اليومي																					
الصلاة والمواظبة عليها																					
النظافة الشخصية																					
الأدب في الأكل والشرب																					
الأدب في السلوك والتعامل																					
الواجبات المدرسية																					
طاعة الأم عند الزيارة																					
عدم الإلحاح في الطلب																					
المُصارحة وعدم الكتمان																					
عدم الصراخ ورفع الصوت																					
عدم مضايقة إخوانه																					
الكرم وعدم البخل																					
عدم وضع الأصبع في الفم																					
الكلام الطيب والسلام والتحية																					
الاعتذار عند الخطأ																					
عدم نقل الكلام																					
عدم الطمع والجشع																					
اللبس المحتشم والطويل																					
الشجاعة وعدم الخجل																					
الالتزام بالتعليمات والقوانين																					
الاستئذان في الدخول والأخذِ وغيره																					
الصدق وعدم الكذب																					
عدم الإفساد (التخريب)																					
عدم التذمر والتأفُّف																					

وأطْلِعْ أبناءك على هذا الجدول، وأخبرهم بأنك ستُقوِّمهم من خلاله، فمن جاءت نتائجه ممتازةً وجيِّدة فإنَّ هذا علامةٌ على أنه ولدٌ متميِّزٌ ومحبوب، وأنه سينال المحبة والثقة من والديه، وستكون له الأولوية في الهدايا والْمُكافآت، وسيحظى بالذهاب معه في نزهاته وزياراته.

واجعل هذا الجدول يستمر على مدار شهرين أو ثلاثة، ثم بعدها يُعمل جدولٌ جديد، وفي نهاية الشهرين أو الثلاثة: يكون التَّقويمُ النهائي، وتُعلِنُ النتيجةَ أمام الأقارب والأهل، وتُسلِّمُ للمتميز جائزةً يرتضيها، ثم الثاني تكون أقل، وهكذا..

أما أثناء هذه الأشهر، فأخبرهم بالطريقة التالية:

إذا تجاوز الابن خمس علامات (ضعيف): فإنه سيُحرم من الذهاب معك عندما تخرج في نزهةٍ أو زيارة، وعندما يتجاوز الابن الخمس علامات فنفذ ما اتفقتم عليه من الحرمان، وسيحس بعدها بعاقبة إهماله واسْتهتاره، وستلحظ فيه تغيُّراً كبيراً في سلوكه وأدبه.

ولا تجعل أقصى حدٍّ مسموحٍ به لعلامات الضعيف مرَّتين أو ثلاثاً؛ حيث سيكون هذا من باب التعجيز له، فييأس ويتذمّر، وسيُحسّ بأن هذا الجدول قيداً يمنعه من مُمارسة حياته وطفولته.

فالطفل لا بدّ أنْ يقع في الأخطاء، فلا تجعل الخطأ الواحد أو الاثنين سبباً في حرمانه وعقابه.

ومن مُميِّزات هذا الجدول:

١ ـ أنك تعرف أخطاء وسلبيات ولدك فتتابعها معه، وتجعلها محطّ اهتمامك لتغيرها وتُبعدها عنه، وتحذره من الإصرار عليها، وتعرف النواحي الإيجابية فيه، فتنميها فيه، وتشجعه على التمسك بها، فمع

الأيام تتلاشى هذه الأخطاء والسلبيات، وتقوى فيه هذا الإيجابيات.

٢ ـ التنافس العجيب بين الأبناء في فعل الأعمال والسلوكيات الجيدة والابتعاد عن الأعمال والسلوكيات السيِّئةِ والسلبية.

٣ ـ شعور الأبناء بأنَّ هناك من يهتمّ بهم، ويُتابعهم، ويحرص على تنمية مهاراتهم وسلوكهم.

٤ ـ ما يجنونه من المديح والتشجيع عندما يقومون بأعمالٍ حسنةٍ وجيِّدة، وحينما يُفكرون في الإقدام على السلوكيات الخاطئة، والأعمال الْمشينة: فإنهم سيحسِّبون لذلك ألف حساب، لما يعلمونه من النتائج المترتبة على إقدامهم على ذلك الفعل.

٥ ـ أنَّ الجدول يُخفف كثيراً من مُعانة كثيرٍ من الآباء والأمهات في اللوم والصراخ والحنق عندما يفعل أبناؤهم خطأً ما، فوضعُ علامة على «ضعيف» أشدّ عليهم من هذا الصراخ واللوم، وهو الذي سيمنعهم من تكرار فعلهم وليس اللوم والعتاب.

ولقد كنت أعاني من سلبيَّاتٍ وأمورٍ مُزعجةٍ عند أبنائي مثل أكل الأظافر، والشقاوة الزائدة، وعد الاهتمام بالنظافة والترتيب، وغير ذلك، وقد حاولت أنا وأمهم بشتَّى الوسائل في إصلاح هذه السلوكيَّات ولكن من دون جدوى، وبعدما اسْتعملت هذا الجدول بحزمٍ وإصرارٍ تغيَّرت هذه السلوكيات بشكلٍ سريعٍ وكبير.

❁ ❁ ❁

القاعدةُ العاشرة:

أنْ تُعامل ابنك باحترامٍ وتقدير، وأنْ تُشعره بمكانته وقدره عندك، وأن يكون لحضوره قيمةٌ في المجلس فما هو شعور ابنك تجاهك، عندما يَرجع من سفره، فتقوم له وتُعانقُه وتُظهر له شوقك وانتظارك له، وما شعورُه وأنت تستشيره وتأخذُ برأيه

فلا بُدَّ أن يكون لرأي الولد ثِقَلٌ ووزن، تصير إليه وتعمل به.

أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَدَحٍ مِن ماء، فَشَرِبَ منه، ثم نظر في وجوه القوم، فإذا عَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ هُوَ أصغرهم، وَالأَشْيَاخُ والكبار عَنْ يَسَارِهِ، فقَالَ: «**يَا غُلَامُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ الأَشْيَاخَ؟**» لأن السنة أن يدور الشرابُ عن يمين الشارب لا عن يساره، وتأملوا: رسولُ الله وخليلُه وصفيُّه، يطلب الإذن من صبيٍّ صغير، قد لا يتجاوز العشر سنوات، فَقَالَ الطفل الصغير: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. متفق عليه[1].

يستأذن هذا الطفل الصغير بكلِّ أدبٍ لطفٍ «**أَتَأْذَنُ لِي؟**»، وأيُّ أثرٍ ستتركه هذه الكلمة الجميلة في هذا الطفل الصغير؟، وأحدنا ربما لم ينطق بهذه الكلمة، ولم تمرّ على لسانه إلا إذا خاطب أصحاب

---

(١) البخاري (٢٣٦٦)، ومسلم (٥٤١٢).

الشخصيات الكبيرة المرموقة!، وأما أبناؤه وأحبابه فلا يُفكر أن يقولها، ولا يستسيغ نطقها.

فهكذا ـ معاشر الآباء والأمهات ـ يعطي ﷺ للصبيِّ قيمته، ويُشعرُه بأهمِّيَّتِه وقدْرِه.

وهكذا فلْيكن تعامُلنا مع أبنائنا.

دخل رجلٌ لأحد محلات الملابس، يريد أن يشتري لباساً لطفلِه الصغير، الذي لا يتجاوز الست سنوات، لكنَّه لم يُحْضرْ معه طفلَه، فكان حائراً في المقاس، فإذا به يرى في نفس المحل رجلاً معه ابنُه، ويُقاربُه في الطول والسنّ، وقد أُعطي هذا الرجلُ موهبةً في تعامُله مع أبنائه، فتقدم إلى الرجل يستأذنه في أن يقيس اللباس على ابنه، ليتأكد من المقاس، فابتسم الرجل في وجهه وقال: أنا شخصياً لا أُمانع، عليك أن تستأذنه هو، فاستأذنه فوافق على ذلك، يقول: فتعجبتُ من تقدير هذا الأب لولده الصغير.

فمن المهم جدّاً أن نُؤكد لأبنائنا أنَّهم مهمون عندنا، وأنَّ رأيَهم له حظٌّ ومكانةٌ لدينا.

وهذا يتم عن طريق إخبارهم بما نجده فيهم من النواحي الإيجابية والجيدة، وأنْ لا نُخفي عنهم ذلك أبداً، وهذا سَيُدعِّم ويُرسخ ما فيهم من النواحي الإيجابية والجيدة، وسيحاولون أن يكونوا عند حسن الظن دوماً، لئلا يسقطوا من أعيننا.

ومن مظاهر الاحترام: أنْ نُشعِرَهم بأننا نثق بهم، مع شيءٍ من المراقبة والتوجيه، وذلك بتكليفهم بمهامٍ ومسؤوليات، لا يقوم بها في العادة إلا الأب.

«ومما يزرع المزيد من الثقة: هو الاستقرار وفق معيارٍ واحدٍ في

التعامل مع الابن، نظامٌ واحدٌ نسبياً داخل الأسرة: يمنح الطفل مِزاجاً عاطفياً أكثر استقراراً، ويساعده على فهم العالم واستيعابه وفق قواعد يمكن الرجوع إليها»[١].

ومن مظاهر الاحترام أيضاً: أن لا تمنع الطفل عن الكلام إذا أراد ذلك، وتُسْكته كلَّما همَّ بالحديث، والتعبيرِ عن وِجْهَةِ نظره ورأيه، وإياك أن تزجره إذا أراد الجلوس مع الكبار، فينشأ الطفل ضعيفَ الشخصية، غيرَ قادرٍ على التصرف في المواقف الصعبة.

فالحبُّ والثقةُ والتفاهمُ والاحترامُ الموزع بين كلِّ الأبناء بعدلٍ وإنصاف: سيجعل الحياة الأسريةَ أيسر وأسهل، وأقوى تماسكاً، وأشدّ ترابطاً.

«والبيت المسلم المثالي فيه جلسة دورية أسبوعية تُعرض فيها أمور البيت، الطعام واللباس والمسكن واللعب والهدايا والزيارات والرحلات والعقوبات والمكافآت... وغير ذلك من أمور البيت، يتصدر الأب رئاسة الجلسة، وتتولى الأم أمانة المجلس، فتعرض خلاصة الجلسة السابقة، وتذكرهم بأهم القرارات السابقة، والتي تتطلب المتابعة والتقويم، ثم يسجل كل فرد مقترحاته وقضاياه التي يريد طرحها على المجلس، ثم يبدأ الأب فالأم فالأبناء حسب تسلسل أعمارهم، فتعرض القضية وتناقش ويتخذ فيها القرار ثم تختتم الجلسة بتلاوة القرارات المتفق عليها.

إن بيتاً مثل هذا البيت سيقدم للأمة المسلمة أفراداً صالحين رضعوا العمل الجماعي منذ نعومة أظافرهم وتدربوا على الشورى منذ صغرهم وتعاونوا على البر والتقوى»[٢].

---

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.
(٢) فن تربية الأولاد في الإسلام، للدكتور محمد سعيد مرسي ٢/١٧.

القاعدةُ الحادية عشرة:

تَعَامَلْ معهم بلا تصَنُّعٍ ولا تكلُّفٍ ولا تمثيل

نعم ولا تمثيل، فبعض الآباء والأمهات يكونون بين الناس لطيفين طيِّبين، ويتحلَّون بأخلاقٍ وتصرفاتٍ حسنةٍ جميلة، ويكونون مع أصدقائِهم وزملائهم في العمل في غاية المرح والتسامح، والبشاشةِ ورحابة الصدر، وإذا دخلوا بيوتهم بدؤوا بالتمثيل والتصنع، فيأخذون أقبح لباسٍ ليلبسوه، وأبشع دورٍ ليمثلوه، فيدخلون عابسين مُقطبين، لا يستحملون من أبنائهم وأهلهم أيَّ زلَّة، ولا يتجاوزن عن أدنى خطيئة.

فمعاملتُهم وأخلاقهم مع زملائهم وأصدقائهم لم تكن لله خالصة، بل هي أقرب للرياءِ والتصنُّع، وطلبٍ للسُّمعةِ والمدحِ والثناء.

فلْنعش بأخلاقٍ سمحةٍ يسيرة مع أهلنا وأبنائنا، ولْنخلع عنَّا لباس التصنع والتمثيلِ والتأويل، فإذا أحسن أحدهم، أو رأيت منه أمراً يُحمدُ عليه، فامدحه واشكره، وإذا أخطأ عليك أحدهم فلا تكثر عتابَه، وإذا قابلك أبناؤك فبُشَّ في وجههم، واحذر مِن ترك ذلك بتأويلاتٍ فاسدةٍ، كأن تعاتب أحدهم خشية أنْ لا يكرر خطأه مرةً ثانية، وغير ذلك.

فما يكون في صدرك من شعورٍ حسنٍ فأظهره ولا تكتمه، وما يكون من شعورٍ سَيِّئٍ فلا تُخرجه بأسلوبٍ بذيء، بل عبِّر عنه بكلام هيِّنٍ لطيف.

ومع الأيام سترى تغيُّراً طرأ عليك لا يخطر على بالك، وسترى أنَّ

الحياة أسهل مما كانت عليه، وستشعر براحةٍ وسرورٍ عجيب، وما ينتظرك من الأجر والثواب الجزيل هو أعظم وأفضل من ذلك.

وانظروا وتأملوا ـ معاشر الآباء ـ: إلى سماحةِ وبساطةِ النبي ﷺ، وعدمِ تكلُّفه وتصنُّعه.

فقد كان أشد الناس تواضعاً، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويكون في مهنة أهله، ويمشي وحده بلا حارس.

لا يأنف ولا يستكبرُ أن يمشي مع الأرملة والمسكين، قال أنس رضي الله عنه: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. رواه البخاري(١).

كان أصحابه لا يقومون له، لما يعلمون من كراهته لذلك، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم.

كان يمازح الصبيان، ويداعبهم، بل ويناديهم بأحب أسمائهم، فيمازح طفلاً صَغِيراً فيقول: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ، ويهدي لطفلةٍ صغيرةٍ ثوباً، ويقول مداعبا لها: يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا، يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا، وَالسَّنَا بِلِسَانِ الْحَبَشِيَّةِ الْحَسَنُ.

هذا وهو رسولُ الله، وخليلُه وصفيُّه، وأتباعُه وأحبابُه ملؤوا الدنيا، ومع ذلك يتعامل مع الناس كلِّهم، بهذه البساطةِ واللَّطافة والسماحة.

فهل نتعامل نحن الْمُقَصِّرون الْمُذنبون مع أبنائنا وأزواجنا، كما كان يتعامل ﷺ؟

---

(١) (٦٠٧٢).

القاعدةُ الثانية عشرة:

ألا يُظهر الوالدان خلافَهما أمام أبنائهما وإذا أمر الوالد ولده أو نهاه، فلا تعترض عليه أمُّه أبداً، والعكس كذلك، فإنْ كان في الأمرِ أو النهيِّ إجحافٌ في حقِّه، فلا يكون الاعتراض والنقاشُ أمامه؛ لأنه إن اعترض أحدهما على الآخر أمامه: فإنه سيعتقد أنه على حق، وأنه مظلومٌ، ويستقوي بمن دافع عنه على الطرف الآخر

فالزوجة الصالحة الْمُوفَّقة: هي التي تُشعر أبناءها في كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ بقدر أبيهم، وتحثُّهم على احترامه وحبه، وتَغرس في نفوسهم الشعور بما يملكه من جميل المناقب والخصال، وما يُكنُّه لهم من حبٍّ ورحمة، وأنه ما عاقبهم وغضب عليهم إلا لأجلهم ومَصلحتهم.

والأبُ في أمسِّ الحاجةِ لكي يظفر بصداقة أبنائه، وتقبُّلِهم لعقابه: إلى عطف زوجته واحترامها له، ووقوفها معه وبجانبه.

«وما من شك أنَّ علاقة الأبوين لها تأثيرٌ قويٌ على نفسية الطفل وشخصيته، ففي علاقةٍ مبنيةٍ على الاحترام المتبادَل والنقاش دون جدال: يحصل الاطمئنان والتوازن عند الطفل، أما عندما تكون العلاقةُ متوترةً ومشحونةً: تهتز نفسية الطفل خوفاً من الافتراق وحيرةً مع من يقف»[١].

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

وإظهار الخلافات والْمُشادَّات أمامهم له أثرٌ خطيرٌ أيضاً على تفكيرهم وقناعتهم، فعندما يرى الابن أباه وهو يحتقر أمَّه، ويرفع عليها صوته: فإنه يعتبر ذلك الاحتقار والشدة هو الأسلوب الصحيح في التعامل مع المرأة.

وعندما ترى البنت أمها وهي تتعالى على أبيها، وتسيء معاملته، وتصرخ في وجهه: فإنه يستقر في مُخيِّلتها أن الأسلوب الصحيح في التعامل مع الرجل هو التعالي عليه، والحزم معه، وعدم اللين والتنازل عن رغباتها لأجله.

فيكون الوالدان هما السببُ الرئيسيُّ، في فشل الحياة الزوجيةِ لأبنائهم إنْ قُدِّر ذلك.

القاعدةُ الثالثة عشرة:

الجلوسُ مع الأبناء والحديثُ معهم، فحينها يشعر الأبناءُ بِمَودَّةٍ تجاه والدِيْهم، وكثيرٌ من الآباء لا يُخصص وقتاً كافياً للجلوس معهم، وإذا قُدِّر له الجلوسُ فدون برامج هادفةٍ، وحواراتٍ صادقةٍ، بل بأحاديثٍ مُمِلَّةٍ أو تافِهةٍ، وعتاباتٍ مُنفِّرةٍ، وتوجيهاتٍ مُتكرِّرةٍ

والأطفال الذين لا يُكلمهم آباؤهم إلا نادراً: ينشئون أقلَّ ثقةً بالنفس من الذين تعودوا الحديث والكلام والحوار الهادئ معهم، ولا تكون عندهم القدرة والجرأة على الحديث، وإبداء الرأي، والدفاع عن نفسه بثقةٍ وأسلوبٍ حسنٍ إذا اتُّهم أحدُهم بشيءٍ هو بريءٌ منه.

«كما يمكن أن يُعقد في البيت برلمانٌ صغيرٌ يقول الأولاد لأبيهم وأمهم:

لماذا لم نخرج للنزهة في الموعد المحدد لذلك؟

لماذا ضربتني يا أمي في الملاهي الأسبوع الماضي؟

يا أبي يضايقنا أسلوب معاملتك لأمنا في الفترة الأخيرة.

وعدتموني بجائزة فور نجاحي ولم تحضروها لي.

وغير ذلك من الأسئلة والاستفسارات التي يتجرأ الأبناء على قولها لآبائهم وأمهاتهم بأسلوب مهذب ويرد الأبوان:

هذا كان بسبب كذا وكذا.

نعتذر عن هذا ونعِدْ بألا يتكرر.

معك حق ولكنها اضطرتني[١] لذلك بسبب....

سوف نفعل كذا وكذا.

ثم يناقش الجميع أزمات البيت واحتياجاته وما ينبغي تنفيذه وتحقيقه للنهوض بالبيت السعيد، كلٌّ ذلك في أدب جمٍّ واحترام. وليكن الحوار والنقاش هو سمت البيت يقوده الأب والأم في هدوء وعقلانية، ويساهم فيه الصغار، ويتعودون عليه في احترام وأدب مع جرأة في قول الحق، وكذلك في الفصل يستطيع المدرس مساعدة الأبناء في عمل هذا البرلمان الصغير»[٢].

والْمشكلة أنَّ كثيراً من الآباء والأمهات مَشْغولون خارج المنزل، ويمكثون طويلاً خارجه، مما يُسبب الضياع والانحراف لهم، وقلَّةَ وربما انْعدام الْمودَّة والألفة بينهم وبين أبنائهم.

فبعض الآباء مشغولٌ بالتكسب والتجارة، ولو عاتبت أحدهم على إهماله لاحْتج بأنه إنما يفعل ذلك لأجلهم، ويتعب لراحتهم!.

وبعضهم كثير السفر والرحلة، ويغيب عنهم مُدةً طويلة، إما دعوةً أو تجارةً أو نزهةً.

وبعضهم ديدنه الجلوس مع الأصحاب في الاستراحات وغيرها.

والأخطر من ذلك: «إهمال البيت الأول إذا بنى الأب بزوجة جديدة، وسكن معها بمسكن جديد؛ فكم من الناس من يهمل بيته الأول إذا بنى بزوجة جديدة، فيضيع الأولاد، ويتشردون، بسبب انشغال

---

(١) في الأصل: ولكنك اضطرتنا.. ولعله خطأ مطبعي.

(٢) «فن تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور محمد سعيد مرسي ٢/ ٢٠.

والدهم، وبعده عنهم»[١].

وأكثر هؤلاء الْمنشغلين عن أبنائهم، أوْكَلُوا رعايةَ وتربيةَ أبنائهم لِخَادماتٍ جاهلات، وكثيرٌ منهنّ كافراتٍ ماجنات، ولَمْ يَتَرَبَّ على أيدي أُمهاتٍ صالحات، وآباءٍ مُخلصين حريصين؛ لأنهم مشغولون بالاستراحات والمناسبات والحفلات، فنشأ أبناؤهم مُترفين بليدين، فما أعظم جريمة هؤلاء الآباء.

ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيمُ مَنِ انْتهى أبواه مِن ... هـمِّ الحياةِ وخَلَّفاه ذليلاً
إنّ اليتيمَ هو الذي تَلقى له ... أُمّاً تَخَلَّتْ أو أباً مشغولاً

فما أكثر الآباءِ المشغولين على حساب الأبناء، وما أكثرُ الأمَّهات اللاتي تخلَّين لصالح الخادماتِ الجاهلات، والأدْهى والأمر: إذا كنَّ كافرات.

وإذا ابْتليت الأم بالخادمة، فينبغي أن تحرص في المراحل الأوليَّة، على أن تباشر هي رعاية الطفل، وتتركَ للخادمة ترتيبَ المنزل، وتنظيفَه وغيرَ ذلك من الأعمال، فلن يجد الطفل الرعايةَ والتربيةَ الصالحةَ من الخادمة، كما يجدُها من الأم، وهذا له دورٌ كبير، في نفسية الطفل واتِّجاهاتِه في المستقبل.

❊❊❊

(١) التقصير في تربية الأبناء للشيخ محمد الحمد: ٨.



القاعدةُ الرابعة عشرة:

أنْ نختار لهم أحسن صديق،
حينها يزول عنَّا من عناءِ التربية نصف الطريق

ولا ينبغي للأب الحريص على صلاح أبنائه، أنْ يتساهل بنوع الصديق لهم في مرحلة الطفولة، فقد يصاحبون مَنْ يَبْدَأُ الطفلُ خُطُواتِ الانْحِرافِ الأُولى بصُحبتهم، واعلم ـ يا رعاك الله ـ أنَّ الصديق لولدك قد يهدم ما بنيتَه طِوال حياتك، ويمحوا صحيفةً رسمتَها بعرق جبينك.

قال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللهُ: جَنِّبوا أولادكم قرناء السوء، قبل أن تصبغوهم في البلاء، كما يصبغ الثوب[1].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض[2].

ومن المعلوم أنَّ العلاقات والصداقات التي يقيمها الطفل تكون قصيرةً وضعيفةً، لكن كلما تقدَّم في السن فإنها تصبح طويلةً ومتينةً. فينبغي للآباء أن يحسنوا اختيار الأصدقاء لأبنائهم، مُنذُ نشأتِهم وطُفولتِهم.

ومن المهم أن يكون هذا الصديق قريباً في سنِّه من ابنك، فإن كان يكبره فقد يُحس بالنقص أمامه، وغالباً ما يكون الصغير بين مجموعةٍ من أصدقاءٍ يكبرونه سناً: موضع تندُرٍ وسخريةٍ مما يُؤثر عليه سالباً في تكوين شخصيته ومستواه.

---

(١) ذم الهوى: ١٠٢.
(٢) ذم الهوى: ١٠٢.

«وبعد اختيار الطفل لأصدقائه، تَرْحيبُ الآباء بهم ضروريٌ، إنه دعمٌ لاستقلاليَّةِ الطفل في الاختيار.

قد تحدث أخطاءٌ من الطفل أو من أصدقائه أمام أبويه، يتطلب الأمر تصرفاً حكيماً بعيداً عن التعنيف وقريباً للتفاهم، حتى لا يتخذ الأصدقاء موقفاً يتضرر منها ابنهم»[١].

فكن صديقاً لأصدقائه، ووفر لهم مكاناً يستمتعون به، ويكون قريباً من نظرك.

ولا تُكثر عليه الأسئلة عن أصدقائه، وعن الأوقات التي قضاها معهم، فإن ذلك سينفره منك، ولن تخرج بكبير فائدة، فهو بالتأكيد لن يُخبرك بكلِّ شيء.

«فمن غير المعقول أن تتوقَّع أن يُخبرك المراهق بكلِّ شيءٍ في حياته، فهو يهوى أن تكون له أسراره التي تُشعره باستقلاليَّته وحريَّته»[٢].

ولكنْ تعرَّف على أصدقائه من خلال لقائك بهم، فإنْ رأيت فيهم صلاحاً وخيراً فقرِّبهم وأكرمهم، وإنْ رأيت فيهم فساداً وانحرافاً فاحرص على إبعاده عنهم، بإقناعه بأنهم لا يصلحون له، وأشغله بالذهاب معك عن مُجالستهم، وعوِّضه عنهم بأصدقاءٍ صالحين.

---

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.
(٢) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

القاعدةُ الخامسة عشرة:

أنْ تكون قُدوةً حسنةً لولدك، فإذا أمرتهم فكن أول مَن يمتثل، وإذا نهيتهم فكن أول من يَنتهي، والإسلام ينهى عن مخالفة الأفعال للأقوال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣]، **والقدوة مع الأطفال من أهمّ وسائل التربية، والطفل يجيد التقليد والمحاكاة، فالواجب على المربين أن يكونوا قدوةً صالحة، وليحذر الأبوان أن يرى منهم أبناؤهم فعلاً أو قولاً قبيحاً**

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ لِمُؤدِّبِ أولاد الرشيد: ليكن أولَ ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين: إصلاحك نفسك؛ فإنَّ أعينَهم معقودةٌ بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه[1].

فإذا رأوك تعتادُ الكذبَ، قلَّدوك وتجرَّؤوا عليه لا محالة، وإذا رأوك تُدخن أو تُشاهد القنواتِ الهابطة، أو رأوك ضعيفَ البرِّ بوالدَيْك، فإنهم في الغالب سيفعلون ما كنت تفعله.

وكثيرٌ من الآباء والأمهات يطلبون من أبنائهم أموراً هم بأنفسهم لا يُطبقونها، ولْنأخذ مثالاً على ذلك: يأمر الوالدان أبنائهم أنْ يستأذنوا عليهم إذا أرادوا دخول الغرفة، ولا يأخذوا شيئاً إلا باستئذان، ولكنهم

(١) المنتظم ١٠/١٣٩ ـ ١٤٠.

يدخلان غرفة أبنائهم دون استئذان، وربما أخذوا بعض أدواتهم أيضاً دون إذن!، فكيف نطلب منهم أنْ يستأذنوا، ونحن لا نلتزم بذلك.

ماذا لو طرقنا باب غرفتهم وطلبنا الإذن في الدخول، ثم نقول لهم: هكذا نحن نستأذن منكم، وأنتم يجب عليكم أنْ تفعلوا كذلك.

واعلموا ـ معاشر الآباء والأمهات ـ أنه مهما قرأ أبناؤكم في مَدارسِهِم، وسَمِعُوه مِنْكُم عن الأخلاق الفاضلة، والقِيَم النبيلة، فإنها ستظل غامضةً في أذهانهم، ومعلوماتٍ مُعشعشةً في عقولهم، ما لم يروا في سُلوكيَّاتكم تجسيداً لها، وفي واقِعكم صورةً واضحةً لها.

فكونوا قدوةً حسنةً لأبنائكم.

❊ ❊ ❊

القاعدةُ السادسة عشرة:

الدعاء لهم بالهداية والصلاح، بدلاً من الدعاء عليهم

والدعاءُ على الأطفال والأولاد لا يجوز، وهو أمرٌ دَرَجتْ عليه كثيرٌ من الأمهات، فقد قال ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» رواه مسلم[1].

وقد أفتى الشيخُ ابنُ بازٍ وابنُ عثيمين عليهما رحمةُ الله[2] بأنَّ ذلك حرامٌ ولا يجوز، وكذلك أفتت بالتحريم اللجنةُ الدائمةُ للإفتاء[3]، وغيرُهم من أهل العلم.

فاتق الله يا من تدعو على أولادك، وتَسألُ الله أنْ يَمْحُوَهم أو يَقْتَلِعَهم عن هذه الحياة، ولو سمعت أحداً يدعوا على أولادك لَغضبت، فما بالُك تدعو عليهم صباحَ مساء.

❊ ❊ ❊

(١) (٧٧٠٥).

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ١٧١٩.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم (٧٤٢٠).



القاعدةُ السابعة عشرة:

أنْ نتجنب الشماتة بآباءٍ لم يُربوا أبناءهم

فإذا رأينا مَن ابْتُلي في أولاده بانحرافٍ أو قصور، فلْنحذر أنْ نشْمَتَ به أو بأولاده، ولْنسألِ الله له ولأولاده العافية، ونحمَده سبحانه على صلاح أولادنا، ولا نشتغلْ بلوم أهلِهم، فقد يكونون مجتهدين، ولكنَّ الله لم يشأ صلاحهم، وربما انتقل الداء إلى الشامت واللّائم، عقوبةً من الله على شماتته وعدمِ شكره.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أُحوّل كلباً[١].

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: إني لأرى الشيء أكرهه في نفسي فما يمنعني أن أعيبه إلا كراهية أن أبتلى بمثله[٢].

وقال آخر: لا تشمت بمن حلّ به بلاءٌ، فإنه إنْ عُوفي كان مثلك، وأنت إنْ ابْتُليت كنت مثله.

وقد رُوي عنه ﷺ أنه قال: لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ بأَخِيكَ فَيُعافِيه اللهُ وَيبْتَلِيكَ[٣].

فكما أن الدعاء يحفظ من البلاء، فإنَّ الاستهزاء بأهل البلاء يجلبه.

---

(١) صفة الصفوة ١/ ١٩١.

(٢) الحلية (تهذيبه) ٢/ ٩٣، موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ١٨٥.

(٣) رواه الترمذي وحسَّنه (٢٥٠٦)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي.

القاعدةُ الثامنة عشرة:

أعطهم حُقوقهم وواجباتهم، وكُنْ كريماً معهم، وفاجئهم بالهدايا والنزهات؛ لأنَّ فمه أكثر يقظةً من عقله، ولذيذ الطعام أحبُّ إلى بعض الأطفال من جميل الكلام

وإنَّ الأب الذكي: هو الذي يَدخل بيته أحياناً وفي يده هديةٌ أو مُفاجأة.

وأفضل الهدايا وأنفعها: ما كانت هادفةً ومُنمِّيَةً لمهاراته وسلوكه؛ كالألعاب الذكية التي فيها استعمال العقل والذهن، وكتب الرسم والقراءة والتلوين، والهدايا التي تفيده في دينه وخلقه؛ كالمصحف الناطق.

ومما جربته فوجدته نافعاً مُفيداً: أني اشتريت لأبنائي الصغار وأكبرهم عمره ثمان سنوات وأصغرهم عمره خمس سنوات، اشتريت لهم كتباً مُنوعةً، فالصغير أعطيته الكتب السهلة، التي فيها تلوين الحروف والكلمات، والكبير أعطيته الكتب التي فيها قصص الحيوانات والغابة، وقلت لهم: الذي يُنهي كتابه فله الجائزة وهي عبارة عن ثلاثة ظروفٍ بداخلها مبلغٌ من المال، وقلمٌ وكتابٌ آخر، فما مضت عدة ساعاتٍ حتى ملؤوها بالحماس والنشاط والفرح، وجاؤوا إليّ يُبشروني بانتهائهم منها، ويطلبون الجائزة والكتاب الآخر.

فعادت عليهم هذه الهدية بالنفع والمتعة والفائدة، وتحسنت كتابتهم وقراءتهم، وتعلقوا بالكتاب بشكلٍ أكبر.

وابتعد عن الألعاب الإلكترونية بقد الإمكان، فإن اضطُررت إليها تحت إلحاح الأبناء: فلْتكن في وقتٍ محدَّدٍ، لا بشكلٍ عشوائي، فقد أثبتت الدراسات ضررها على عقيدته وأخلاقه، وفهمه وبصره ونفسيَّته.

وهنا أقف مع شيءٍ من أضرار هذه الألعاب فأقول: أجمع الباحثون والْمُخْتصون: أنَّ لها أضراراً ومخاطرَ عَدَّة، فهي من أهم أسباب الإصابة بالسُّمْنة، والسُّمْنةُ يندرج تحتها العديدُ من الأضرار الكثيرة.

ومن الأضرار أيضاً: أنها تُسبب لهم ضعفَ البصر، لِمَا لِأَشعَّةِ التلفاز والأجهزةِ، من تأثيرٍ على الشبكية في العين.

ومن الأضرار أيضاً: أنها من أعظم أسباب ضعف الجسم بشكل عام، وذلك لقلة حركتهم.

ومن الأضرار الخطيرةِ أيضاً: أنها مِن مُدمرات شخصيةِ الإنسان وعقله، وقد قال أحدُ الْمُختصين والباحثين: إنَّ كلَّ لُعبةٍ فيها سرعةٌ، أو منافسةٌ أو مطاردةٌ؛ ككرة القدم، أو لعبةِ القتل وسباقِ السيارات وغيرِها، فإنها بعد القيام بِلَعِبِهَا لمدةِ ثلاثةِ أشهر: تُحدث خللاً في ثلاثِ قدراتٍ في العقل، في الانتباه والتركيز والتذكر.

فإذا لَعِبَ ساعةً كلَّ يومٍ، لمدة ثلاثة أشهر، فإنه سيفقدها تدريجياً.

وذلك لأنه يلعب وهو جالسٌ بعقله وتفكيره، ويحرك ذبذبات المخ، فعندما يُصْبِحُ لَعِبُهُ بشكلٍ دائم: فإنَّ الْمُخَّ سيبدأ بالضعف؛ لأنه أُجهدَ فوق حدِّه وطاقته.

ومثال المخ في هذه الحالة: كمن يجري لمسافةٍ قليلة: فإنه لن يتضرر إذا جرى بسرعةٍ شديدة، ولكن حينما تكون المسافةُ بعيدة، فإنْ جرى بنفسِ السرعة سيُصابُ بالإعياء والضرر، وإذا اسْتمرّ على

ذلك، فسينتهي به الأمرُ إلى عاهةٍ خطيرة، أو إصابةٍ دائمة.

والعقل كذلك، متى ما أُجهد لمدةٍ طويلة، فسينتهي الأمر به إلى فساده وخرابه.

ومن أضرار هذه الألعاب أيضاً: أنَّها من أعظم أسباب الغضب الْمُفرط عندهم، وعدمِ قدرتهم على أن يتحكموا بأعصابهم.

وذلك لأنَّ فيها مُنافسةً وتحدٍّ، فليعب وهو مشدودُ الأعصاب، فإذا انهزم غضب وانْفرطَتْ أعصابُه، ومع الأيام سيُصبح عصبيَّ المزاج، يغضب لأتفه الأسباب.

ومن أضرارها أيضاً: أنَّها تُضرُّ بدينهم وآدابهم: فكم في هذه الأجهزة من صورٍ مشينة، وأفلامٍ ومقاطع مُثيرةٍ للغريزة، التي تُؤدي بهم إلى الانحراف والرذيلة، وسلوكِ الطُّرقِ المخزية والمحرَّمة.

ومن أضرارها أيضاً: أنها تُسبب لهمُ الإدمان: وهو أمرٌ طبيعيٌّ يُواجه هؤلاء الصغار، بل وحتى الكبار، فاللاعب المدمن، غيرُ قادرٍ على أنْ يتوقف عن اللعب.

فالطفل الذي اعتاد على هذه الأجهزة، لا يستطيع مُفارقتها أبداً، فإذا ذهب مع أُسرته لنزهةٍ: اصطحب جهازه معه، وإذا أراد النوم: نام والجهاز بين يديه.

والإدمان يُسبب الكثير من المشاكل، فهو يُدخل اللاعب في عزلةٍ وانطوائيَّةٍ سلبية، التي تُفقده حياتَه الشخصية، ويخسر بسببها عائلته وأهله.

ومن مشاكل الإدمان أيضاً: أنه يُسبب قلةَ التركيز، وربَّما وصل الطفل إلى مرحلةِ البلادة، وعدمِ الاعتماد على نفسه، فتجد الأطفال المدمنين، لا يستجيبون بسرعةٍ لنداء والديهم.

ومن مفاسد الإدمان أيضاً: أنه يُلهي عن الصلاة والواجبات الشرعية.

والواجب على الآباء والأمهات: أنْ يتقوا الله في أولادهم، وأنْ يتخذوا الوسائل الصحيحة النافعة، مع هذه الألعاب والأجهزة الحديثة، لكي يحموا أولادهم من الإدمان عليها، وذلك بمراعاة ما يلي:

أولاً: أنْ يُشجعوهم على مزاولة الألعاب الجماعية، وتفضيلِها على النشاطات الفردية، فإذا اندمج الطفل فيها: فإنه سيقلُّ عنده الحماسُ لهذه الألعاب.

ثانياً: أنْ يُشجعوهم على هوايةٍ ومِهنةٍ مفيدة، ويدعموهم بالمال والأدوات والمكان.

ثالثاً: أنْ يحرصوا على البرامجِ والألعابِ الهادفة، التي تعتمد على الذكاء.

رابعاً: أنْ يُحدِّدوا لهم وقتاً للعب، لا يتجاوز بالكثير ساعةً في اليوم، وأنْ لا يأخذوها خارج البيت.

وقد نقل بعض الباحثين: عن خبراءِ الصحة النفسية والعقلية، أنهم أجمعوا على ضرورة قضاء خمسٍ وسبعين بالمائة: من وقت فراغ الطفل في أنشطةٍ حركية، وقضاء خمسٍ وعشرين بالمائة: في أنشطةٍ غيرِ حركية، والمُصيبةُ أنَّ أطفالنا يعملون بالعكس من ذلك تماماً.

خامساً: أنْ تكون خاليةً من الصور العارية، التي تُثير الغرائز لديهم.

سادساً: أنْ لا يكونوا في عزلةٍ أثناء لَعِبهم، بل يجب أنْ يكونوا في مكانٍ مكشوف.

والمشكلة أنَّ أكثر الآباء والأمهات، لا تخفى عليهم هذه

الأضرار، وإذا نُصحوا وذُكِّروا بها: تعلَّلوا بعللٍ واهية، وحججٍ عقيمة، وهي أنهم بهذه الألعاب يستريحون من إزعاجهم، ويتخلصون من لعبهم في البيت.

فلا يُهمُّهم إلا راحتُهم، ولو على حساب صحَّةِ أبنائهم، وسلامةِ عقولهم وأخلاقهم.

نسأل الله تعالى أنْ يُصلح أبناءنا، وأنْ يُجنِّبهم ما يُفسدهم ويُؤذيهم بمنِّه وكرمه.

وتعوَّد دائماً أنك إذا دخلت بيتك وقابلت أولادك: أنْ تدخل بشوقٍ إلى أولادك، وقابلهم بحرارةٍ عميقة، وأخبرهم بأنك اشتقت لهم، وقبِّلْهم كلَّما دخلت وخرجت، ستجدهم مع مرور الأيام يشتاقون لعودتك، ويترقبون وصولك، ويتألمون لفراقك.

«وبعض الآباء يقتر على أولاده أكثر من اللازم، مما يجعلهم يشعرون بالنقص، ويحسون بالحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بطريقة أو بأخرى، إما بالسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء وأهل الإجرام»[١].

ومن أعظم الحقوق الوجبة على الآباء تزويج مَن يستحقّ الزواج مِن الأبناء والبنات، وإعانتُهم، والسعي الْحَثيثُ في البحث عن الكفء والْمُناسب.

وكيف يستسيغ أبٌ يخاف الله واليوم الآخر: أنْ يُؤخر تزويج أبنائه، ويتقاعس ويتساهل في هذا الأمر الْمُهم لهم، مع قُدرته على ذلك، ورؤيته لحاجة أبنائه في الزواج والعفاف.

(١) التقصير في تربية الأبناء للشيخ محمد الحمد: ٥.

وهو بذلك قد حرمهم من سكون النفس، وطمأنينة القلب، وخمود الشهوة.

«ومن الآباء من يؤخر زواج ابنته بلا مسوغٍ شرعيٍّ؛ فتراه يرد الخاطب الكفء، ويؤخر زواج ابنته إما لكونها وحيدته فلا يرغب في فراقها، أو لرغبته في أن تخدمه، أو لأنها موظفة ويرغب في مالها، أو لأنه ينتظر خاطبا غنياً يتقدم لموليته، أو لغير ذلك من الأسباب.

وهذا حرمان للفتاة من حقها في الزواج؛ فكيف تكون حالها وهي ترى أترابها من بنات عمها، أو بنات خالها، أو صديقاتها وهن يحملن الأطفال، ويسعدن بالأزواج؟

إنها تحترق كمداً وغماً، وحسرة؛ فتبعة ذلك التأخير يتحملها الأب؛ لأن الأصل أن يبادر إلى تزويجها متى تقدم لها الخاطب الصالح»[1].

وهذه قصة فتاةٍ ذكرها أحدُ المشايخ الفضلاء يقول: هناك امرأةٌ وصل سنها إلى الأربعين ولم تتزوج بعد، وكلما أتاها الخطاب رفض والدها تزويجها، فأصابها بسبب ذلك من الهم والغم والحزن ما الله به عليم، وأصبحَتْ لا تُرى إلا بوجهٍ حزين، وأصابها من جراء ذلك مرضٌ نُقلت على أثره إلى المستشفى.

فأتاها والدها لكي يزورها ويَطمئن على صحتها، فقالت له: اقترب مني يا أبي، فاقترب منها، فقالت له اقترب، فاقترب منها أكثر فقالت له: قل آمين، فقال: آمين، فقالت له: قل آمين، فقال: آمين، فقالت له قل آمين، فقال: آمين، فقالت: حرمك الله الجنة كما حرمتني من الزواج، ثم توفيت بعد ذلك رحمها الله.

وهذه قصة فتاةٍ أخرى، منعها أبوها حقَّها الشرعيَّ في الزواج،

(١) التقصير في تربية الأبناء للشيخ محمد الحمد: ١٤.

والاستقرار والإنجاب، وإحصان الفرج بحججٍ واهيةٍ، هذا طويل.. وهذا قصير.. وهذا ليس من مستوانا.. وغير ذلك من الاعتراضات حتى كبرت البنت، وفاتها الزواج.

فلما حضرت أباها الوفاةُ طلب منها أن تُحلِّله فقالت: والله لا أُحَلِّلك؛ لما سبَّبته لي من حسرةٍ وندامةٍ وحرمتني حقي في الحياة.

ماذا أعمل بشهاداتٍ أُعلقها على جدران منزلٍ لا يَجْري بين جدرانه طفل؟

ماذا أفعل بشهادةٍ ومنصبٍ أنام معهما في السرير؟

لم أُرضع طفلاً؟ لم أضمه إلى صدري، لم أشكُ همِّي إلى رجلٍ أحبه وأوده ويحبني ويودني، حبُّه ليس كحبك؟ مودته ليست كمودتك؟ فاذهب عني واللقاء يوم القيامة بين يدي عدلٍ لا يظلم، حَكَمٍ لا يهضم حقَّ أحد، ولكن عليك غضبي، لن أترحم عليك، ولن أرضى عنك حتى موعد اللقاء بين يدي الحاكم العليم(١).

فهذا كلُّه بسبب البخلِ والإمساك من هذا الأب وأمثاله، فما أشقاه وما أخزاه، قتَّر على البعيد والقريب، وأفقر الابن والحبيب، أهلُه وأبناؤه منه في بلاء، وذاقوا لبخله الضَّنْكَ والشقاء، يرون أمواله لا يُحصيها عدد، ولا تحويها مدينةٌ أو بلد، أمواله مكدَّسةٌ في الصناديق والمصارف، وبِجَمْعِها وعدِّها حريصٌ وعاكف، فتبًّا له على هذا الشقاء، وتعساً له على هذا العناء، ما أخيبه وأبغضه، وما أبعده وأشأمه.

أبناؤه تتقطع قلوبهم لعيشٍ سعيد، وبيتٍ ومركب رغيد، صغيرهم يريد النكاح والعفاف، وكبيرهم يبتغي العيش في كفاف، وبناته يُردن

---

(١) انظر: صيد الفوائد، تحت عنوان: كيف نتغلب على مشكلة تأخر الزواج، أ. محمد شندي الراوي.

العيش كباقي البنات، ويلبسن ويهنأن بأمواله وخَيراته، لكن قلبه كالحجارة أو أشد قسوة.

باع سعادته، وخسر أبناءه، وفارق أحبابه، وأسخط ربه، بأموالٍ مكدَّسة، ودُريهماتٍ زائلة.

لا هو استفاد وأفاد، ولا هو ادخرها في دنياه ولا في المعاد.

فهل هناك أخسر وأشقى حالا من حاله؟، وهل هناك أغيض وأبغض في قلوب الناس من هذا وأشكاله؟.

يُحدثني أحدُ المسؤولين في أحد البنوك فيقول: دخل عليَّ رجلٌ رث الثياب، كريه المنظر، فظننته يطلب صدقةً تغنيه، ومالاً يكفيه، لكنه طلب مني كشف حسابه، فإذا به ما يزيد على العشرين مِليوناً من الريالات، ومع هذا فقد قتَّر على نفسه وأهله وأبنائه والعياذ بالله.

وقد عدّ العلماء البخل من الكبائر، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال لبني سلمة: **«من سيدكم؟»** ـ قالوا: الجدُّ بن قيسٍ على أنا نُبَخِّلُهُ، فقال: **«وأي داء أدوأ من البخل، بل سيدكم عمرو بن الجموح»**[١].

نعم! وأي داء أدوأ من البخل، فالبخل من أعظم الأمراض والأدواء، وأخسّ الطبائع والأخلاق.

واعلم ـ أيها الأب البخيل ـ أن رَسُول اللهِ ﷺ، كان يَدْعُو في كل صلاةٍ ويقول: **«أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ»**. متفق عليه[٢].

نعم، يدعو كلَّ يومٍ أن يُجنبه داءً أصابك، وذنبا أحاطك، فما أعظم جُرمك، وما أشنع فَعلك أن يَستعيذ الرسولُ والمؤمنون في كلِّ يومٍ مما اتصفت وتخلَّقت به.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٥٢).

القاعدةُ التاسعة عشرة:

كن مُستمعاً جيِّداً لابنك، فإذا لم تكن كذلك لجأ إلى غيرك، وباح له بأسراره وهمومه ومشاكله

ولو جاء إليك ابنك ليخبرك بما جرى معه في المدرسة، فاستمع له باهتمام، فهو ما جاء إليك إلا لتسمع منه، ويبوح لك بما يجول في خاطره، فحديثه إليك في تلك اللحظة ـ بالنسبة إليه ـ أهمُّ من كلِّ ما أنت فيه من شغلٍ وعمل، فهو يريد إخبارك بما يشعر به من أحاسيس مُفرحةٍ أو مُكدِّرة.

واحذر أنْ تكون معه بمنزلة الْمُحقق الْمُتثبِّت، بل كن بمنزلةِ الْمُستشار الأسريّ، الذي يُوجد الحلول، ويُعالج المشاكل.

فلو جاءك ابنك يوماً يُخْبرك بما جرى له في المدرسة قائلاً: «فلانٌ ضربني وتكلم عليّ أمام زملائي» فلا تكن كالمحقق فتسأله: «ألست أنت من بدأ؟ ألم تفعل شيئاً يُثير غضبه»؟ وهكذا! ولا تحكم عليه بأنه لا بدّ أنه قد أخطأ في حقه، فتقول له: «لا بدّ أنك مَن بدأ، وأنا أعرفك شقيٌّ!».

فتكون بذلك قد أغلقت باب الحوار والنقاش معه، حيث تتحول أنت في نظره من صديقٍ يلجأ إليه، ويُفضي إليه ما بخاطره، إلى مُحَقِّقٍ أو قاضٍ صارمٍ.

بل ربما كنت في نظره محققاً ظالماً، تبحث عن أدلةٍ تتهمه بها، وتُصر على إثبات البراءة لخصمه.

فهو لا يريد أنْ يُسمعك لتعطيه حلاً، بل يريد أنْ تشاركه الشعور، وأنْ تتفاعل معه وتطيب خاطره.

«ولا يدرك الكثير من الآباء، أن عدم فهم مشاعر الطفل أحد أسباب سوء التصرف، فتركيز الحديث معه على النصائح والتهديدات والتحقيقات وتقديم الحلول يزيد مِن بُعد الطفل عن والديه، فلا يرغب في الحديث معهما؛ لأنه لا أحد يفهمه.

ويعد الاستماع والإصغاء من أهم أدوات حل هذا المشكل»[١].

***

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

القاعدةُ العشرون:

مُناداتُهم بأحب الأسماء والألقاب إليهم، وإسماعُهم عبارات الثناء والتشجيع، والبُعد عن عبارات السبِّ والتحطيم

تقول إحدى الدراساتِ الحديثة: بأن الطفل إلى سن المراهقة، يكون قد استمع من والديه، أكثر من خمسَ عشرةَ ألفِ كلمةٍ سيئةٍ، مِن سبٍّ وتحطيمٍ.

فلك أنْ تتخيَّل حالةَ ونفسيَّةَ هذا المُراهق، الذي أُشبع بهذه الكميَّةِ الكبيرة من عبارات السب والتحطيم، التي قتلت كثيراً من طموحاتِه ومواهبه وقُدُراتِه.

والمُلاحَظُ ـ معاشر الآباء والأمهات ـ أننا إذا وصفنا أبناءنا بصفاتٍ سلبيَّةٍ، فإنها تتحول إلى سلوكٍ وطبعٍ له، فإذا كررنا على سمعه بأنه عنيدٌ مثلاً، وتحدثنا أمام الناس عن عناده، فإنه سيؤمن ويقتنع تماماً بأنه عنيدٌ، وسوف يتصرف بعناد.

فإحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإنْ أشعرته أنه ولدٌ طيبٌ مُطيعٌ مُؤدَّبٌ، وأحسسته بمحبتك لأجل ما يمتلكه من هذه الصفات الجميلة، وتناديه بها أحياناً، فستتولَّد لديه فكرةٌ تلقائيةٌ بأنه إنسانٌ طيبٌ مُطيعٌ مُؤدَّب، وأنه محبوبٌ عند والديه، وأنه ذو شأنٍ بين أسرته وأقاربه.

أما إذا لم تصبر على سلوكه وتصرفه السيئ، وتشعره أنه ولدٌ غير طيبٍ وأنه غير مُطيعٍ ومُؤدَّب، أو بأنه كسلانٌ أو لا يسمع الكلام، وتُكرر عليه هذه العبارات القاتلة، وتكثر عليه اللوم والتوبيخ، فإنه سينشأ على ذلك، وتتكون لديه فكرةٌ سلبيةٌ عن نفسه، وينتهي به في الأخير إما بالكآبة والإحباط، أو بالتمرد والعصيان، أو بالنُّفْرة من الأسرة التي يجد فيها السب والتحطيم، ويبحث عن بيئةٍ وأصدقاءٍ يُسمعونه عكس ما يُقال له في بيته، فيبدأ بالانْحِراف والضلال، وإنْ كانت فتاةً فإنها تسعى للمعاكسات، لتسمع ما يُشبع عاطفتها، ويُخفف آلامها.

قد تقول أيها الأب وأيتها الأم: إذا أصرَّ الولد على تصرفاته السيئة، وسلوكه الرديء، فكيف نُناديه ونتعامل معه؟

فنقول: متى ما رأيته يفعل أشياء لا تحبها، أو أفعالاً سيِّئةً، فأفهمه وأخبره أن العيب ليس فيه كشخص، بل إنَّ الخطأ هو في سلوكه وتصرفاته.

فمثلاً: قل له: «لقد فعلت شيئاً قبيحاً لا يليق بك، ويكرهك الناس بسببه»، بدلاً من قولك له: «إنك ولدٌ سيءٌ وشقي».

أو تقول: «إني أكره فيك هذه الصفة السيئة»، بدلاً من: «أكرهك لأخلاقك وتصرفاتك السيئة».

أو تقول: «أصبحت لا أتحمل منك هذا السلوك المشين»، بدلاً من: «أصبحت لا أتحملك ولا أطيقك».

واحرص على أنْ تُشعر ابنك أنك تحبُّه، وأخبره دوماً بذلك، وعبِّر له عن حبِّك بالهَدِيَّة والسلام، واحترامك وإكرامك لأصدقائه، والدعاء في ظهْر الغيب وأمامه، وناده بالكُنية التي يحبُّها.

فإذا فعلت ذلك أصبح لكلامك ونصائحك وانتقاداتك مكانٌ وأثرٌ كبيرٌ في نفسه، ويتقبَّلها بصدرٍ رحب.

واحرص كذلك ـ يا رعاك الله ـ على تشجيعهم إذا رأيت منهم سلوكاً إيجابياً، واشكرهم عليه، وهناك قاعدةٌ تربويةٌ تقول: السلوك الذي يُنتبَهُ إليه يتكرر، والذي لا يُنتبَهُ إليه يزول.

❊ ❊ ❊

القاعدةُ الحاديةُ والعشرون:

أنْ نُعوِّد أبناءنا على حرِّيَةِ الاختيار والتعبير، واتخاذ القرار، بما لا مضرَّةَ فيه في دينه ودُنياه، فلا نُلْزمه على لباسٍ أو طعامٍ لا محظور فيه، فينشأُ الابن مُحبّاً لك، عارفاً لقدرك وفضلك، قد غرست فيه رجاحةً في عقله، وقوةً واستقلالاً في رأيه

قال العلَّامةُ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ وَصَايَا الأبناء بالْوَالِدَيْنِ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ لِلْوَالِدَيْنِ أَنْ يَعْبَثَا بِاسْتِقْلَالِ الْوَلَدِ مَا شَاءَ هَوَاهُمَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَلَدِ أَنْ يُخَالِفَ رَأْيَ وَالِدَيْهِ وَلَا هَوَاهُمَا، وَإِنْ كَانَ هُوَ عَالِماً وَهُمَا جَاهِلَيْنِ بِمَصَالِحِهِ، وَهَذَا الْجَهْلُ الشَّائِعُ مِمَّا يَزِيدُ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ إِغْرَاءً بِالِاسْتِبْدَادِ فِي سِيَاسَتِهِمْ لِلْأَوْلَادِ، فَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَقَامَ الْوَالِدِيَّةِ يَقْتَضِي بِذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُ الْوَلَدِ وَعَقْلُهُ وَفَهْمُهُ دُونَ رَأْيِ وَالِدَيْهِ وَعَقْلِهِمَا وَفَهْمِهِمَا. اهـ كلامه[١].

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ، فالمراهق الضعيف الشخصية أو من لديهم قلقٌ دائمٌ من المستقبل، يبحثون دوماً عن طرقٍ لإرضاء «الأصدقاء». ولكن إنْ أعطي الطفل المنهج الصحيح منذ الصغر للتعامل في المواقف وأخذ القرارات، سيتمكن من مواجهة المواقف عندما يكبر وستكون النتائج جيدة.

---

(١) تفسير المنار ٥/ ٧٢.

ومعنى أنْ نُتيح له حرِّيَّةَ الاختيار والتعبير، واتخاذ القرار: أن يختار بنفسه وذوقه أي قميص أو لباسٍ يريد لبسه، أو أيَّ لعبةٍ تُعجبه، ويتخذ القرار المناسب في ترتيب غرفته، وهكذا.

فالطفل الذي يُتَاح له أن يتخذ قراراتٍ، ويقوم بتجارب بلا تدخل وإلزام سيتعلم أن ما اتخذه من قراراتٍ لها نتائج وعواقب، مما يُمَكِّنُه في المستقبل على اتخاذ القرارات السليمةِ والصحيحة عندما يصبح في سنِّ المراهقة.

أعرف رجلاً كان يُصلي الجمعة ومعه ولدُه، وإذا انتهت الصلاة يطلب الابن الذي لم يتجاوز السابعة من عمره من أبيه أنْ يرجع إلى البيت بصحبة عمِّه حيث يصطحب أبناءه معه، وكان يقول له: يا بنيّ أنت بالخيار في ذهابك معهم، ولكني أنصحك بأن يكون رجوعك مع من قدمت معه، حتى لا يحصل في المستقبل لبسٌ فيذهب الجميع عنك، وهم يعتقدون أنك مع أحدهم، فكان لا يُبالي بذلك، ويأبى إلا الذهاب معهم، وفي أحد الجُمع حصل ما توقعه الأب، فحينما رجع إلى البيت وإذا بأخيه قد حضر دون ابنه! فقال: أين ابني؟ قال: ألم يذهب معك؟ قال: لا! قال: إذن هو في المسجد، فلم يُبال الأب بذلك، وانتظر ما يُقارب ربع ساعةٍ ثم ذهب، فإذا به قد مشى مسافةً ليست بالقصيرة، ودموعه على خديه، فأخذه وقال له: أتذكر ما قلته لك سابقاً؟ فكان في ذلك أبلغ درسٍ للابن بأن يتحمل نتائج ما يتخذه من قراراتٍ، وأنْ يستمع لنصائح أبيه.

وأما الطفل الذي لا يُتيح له أهلُه أن يتخذ قراراته، ولا أنْ يقوم بتجارب، ويخبرونه دوماً ماذا يفعل وبماذا يقرر، ويتحكَّمون في تصرفاته من غير أنْ يُؤخذ رأيه فإنهم لن يتيحوا له أن ينمو نمواً جيداً، ولن يتطور تفكيره، وتقوى شخصيته.

وبالتالي ستضعف شخصيته أمام أصدقائه، ويتقبَّل منهم كلَّ شيءٍ ولو عاد عليه بالضرر؛ لأنه لم تُحنكه التجارب، ولم يتخذ قراراتٍ في الماضي يعرف عاقبتها ومضرتها.

وسيكون انتماؤه إليهم أكثر من انتمائه إلى أهله، الذين طالما ضيقوا عليه في اتخاذ ما يراه وما يناسبه.

والأخطر من ذلك أنه لن تكون عنده معرفةٌ وخبرةٌ بالأخطار وكيفيةَ التعامل معها، حيث لم يسبق له أنْ واجه شيئاً منها، وسيكون فريسةً سهلةً لجلساء السوء؛ لأن شخصيَّته ضعيفةٌ مهزوزة.

وصدق الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقّيهِ
وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَاسِ يقَعْ فيهِ

واعْلم أنَّ الكَبْت والْمَنْع والحجر على الأبناء رُبَّما جاء بنتائج عكسية، وردَّةٍ فعليَّةٍ قويَّة، فكم رأينا من آباءٍ تعاملوا مع أبنائهم بهذه السياسة، وربَّوهم في على عدمِ الْخُلطة للناس إلا في نطاقٍ ضيِّق، ومنعوهم من الذهاب والإياب إلا ما كان تحت نظرهم، فما إنْ كبروا، وتخرَّجوا من الْمرحلة الثانوية، وأصبحتْ سُلْطتهم بيدهم لا بيد غيرهم، وواجهوا الْمجتمع بلا خبرةٍ كافية، وتجاربِ أنتجت لهم قناعةً وحِنْكة: إذا بهم يلْهثون وراء الْمُلهيات والشهوات، وصاحبوا مَن هبّ ودبّ، وأهملوا الدراسة والجامعة، كلّ هذا بسبب التربية السقيمة، التي مبناها على الكبت والْمنع، وحجب الثقة التجارب.

وأما مَن أتاح لهمُ الحرية والاختيار مُطلقاً، ولو على حساب دينه وصحته وأخلاقه، فقد ارْتكب جريمةً في حقه لن ينساها في كبره.

فكم رأينا من أطفالٍ أُصيبوا بأمراضٍ وعاهات؛ كداء السكر

وضعف البصر، وبعضُهم خسِرَ أخلاقَه ودينَه ومروءتَه؛ لأنَّ أباه أتاح له كلَّ ما يريد في صغره، فأصبح في كِبَره ضالًّا بذيئاً سيِّئاً.

وكم رأينا من فتياتٍ يرتدين الألبسةَ المخلَّةَ بالأدب والحشمة، الداعيةَ إلى نزع الحياء والفطرة، وقد قال ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»**. رواه مسلم[(١)].

قال ابن عبد البر رحمه الله، في شرح الحديث: فكل ثوب يصف ولا يستر، فلا يجوز لباسه بحال، إلا مع ثوب يستر ولا يصف، فإن المكتسية به عارية..

أما قوله: كاسياتٌ عاريات، فمعناه كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة، إذ لا تسترهن تلك الثياب.اهـ كلامه[(٢)].

فبيّن رحمه الله أن اللباس الذي يصف البشرة: وجوده كعدمه، وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال لبسه، إذا كان على عضوٍ يجب ستره.

وقال الإمام الفقيه محمد بن عثيمين رحمه الله: لبس النساء أمام النساء الملابس ذات الأكمام القصيرة، والفتحاتِ من جهةِ النحر أو الظهر، أو الساقين، والملابس الضيقة أو الشفافة، ولبس الملابس القصيرة وهو ما يصل إلى نصف الساقين: الذي أراه أنه لا يجوز للمرأة أن تلبس مثل هذا اللباس، ولو أمام المرأة الأخرى؛ لأن هذا هو معنى قوله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما، نساءٌ كاسيات عاريات، مائلات مميلات**

(١) (٢١٢٨).
(٢) الاستذكار ٨/ ٣٠٧.

رؤسهن كأسنمة البخت المائلة».اهـ كلامه[(١)].

وإنّ تساهل الآباء والأمهات في لُبسه بناتهن، وعدم الإنكار عليهن على لباسهنّ الضيق أو القصير أو الشفاف: لهو ذريعةٌ إلى ترك الاحتشام والحياء، فاليوم تلبس إلى نصف الساقين، ويَظهر شيءٌ من الكتف، وأجزاءٌ من الصدر، فتكبر الفتاةُ على هذا الحال، ويبدأ الحياء والأدبُ يخفّ شيئاً فشيئاً، وربما اسْتمرأت الخروج بلباسها المخزي عند محارمها الرجال!.

والفتاةُ عندما تظهر مفاتنها؛ كصدرها وأكتافها وأنصاف ساقيها، ناهيك عما زاد على ذلك، فإنها تكون بذلك سبباً لافتتان بعض النساء بها، وعشقها وغرامها، حتى إن بعضهن لا تنام بسبب التفكير بها والعياذ بالله، وكل هذا ليس ضرباً من الخيال والمبالغة، بل هو ما نراه ونسمعه واقعاً عند بعض النساء.

وكم أُصيب الكثير منهن بالعين والحسد، بل وبالسحر أيضاً، جرَّاء عرْضها لزينتها وجمالها.

فيا ويل هؤلاء الآباء والأمهات الْمُتساهلين الْمُفرطين من حسابٍ عسيرٍ يوم القيامة، قال ﷺ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ»**. متفق عليه[(٢)].

نعم، سيقف الأب الذي لم ينكر على ابنته في لباسها، وستقف الأم المطاوعة لبنتها في لباسها، سيقفون جميعاً أما الجبار «وقفوهم إنهم مسؤلون»، سيسألون عن هذه الأمانة التي حمّلوها، وهذه الرعية التي

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٨٠.

(٢) البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (٤٨٢٨).

استرعوها، فلنعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، فما أدق الحساب، وما أشد العقاب.

فإنَّ تساهل الآباء مع أبنائهم وبناتهم في المنكرات والمحرمات: هي من الأخطاء العظيمة، والذنوب الكبيرة، ويحتجُّ بعضهم ويبُرِّرُ لنفسه بأن ابنه ما زال صغيراً، وأنه إذا كبر سيتركها، وبعضهم يحتج بأنه لا يُريد تعقيده، وأنه يخشى أنْ يُنفِّره، وأنه يفعل ذلك رحمةً ورفقاً به وما شابه ذلك، وما أجمل ما قاله ابن القيم رحمه الله في حقِّ هؤلاء: «وكم مِمَّن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهوته، ويزعم أنه يُكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد، رأيت عامته من قبل الآباء».اهـ[1].

❊ ❊ ❊

(١) تحفة المولود: ٢٤٢.

القاعدةُ الثانيةُ والعشرون:

دع سياسةَ الرفض الْمُباشر،
وحاور وناقش وأقنع قبل أن تتخذ القرار النهائي

نعم، لا تنطق بـ (لا) إذا طلب منك ولدك شيئاً، إلا إذا تيقنت أنه هو الجواب الوحيد.

وقد اعتاد كثيرٌ من الأمهات خاصةً وبعض الآباء أيضاً على رفض طلبات أبنائهم من أول وهلة، فتقول: (لا) قبل أنْ تتأكد جيداً هل طلبه يستحق الرفض أم لا؟

فحينما يقول لها: أريد الذهاب مع صديقي، فتجيب مباشرةً لا!، وحينما يُخبرها بأنه لا يشتهي الطعام، فتجيبه: لا بدّ أن تأكل، وحينما يطلب من أبيه نزهةً أو شراء لعبةٍ فيجيبه: لا!.

وعندما يخرج الآباء في نزهةٍ ويطلبُ الابن أنْ يخوض في ماءٍ، أو يلعب في الأتربةِ، فيأتي الجواب: بلا!.

فهما يُغلقان في وجهه باب الحوار والنقاش، والأخذ والرد، ويغرسان فيه أنه لا رأي له، وأنَّ ثقته مهزوزة، وأنه لا بدّ أن يكون مُقلِّداً تابعاً.

وستكون عنده قناعةٌ راسخة أنَّ والديه لا يلبيان رغباته بحرية، وأنه من الأفضل أن لا يُشاورهما؛ لأنه يجزم برفضهما، فيفعل ما يحلو له ويريد، ويقول: أتحمل النتائج، وأصبر على عتاب وعقاب والدي، المهم أنْ أحقق ما أريد.

وهنا سيبدأ الوالدان بخسارة ابنهما شيئاً فشيئاً.

ثم لماذا (لا) في كلِّ شيء؟ فأين المرونة والحوار والنقاش، ولماذا لا نناقشهم عن السبب قبل أن نرفض فكرتهم من أصلها؟.

فلعلهم على حقٍّ فيما قالوا، ولماذا لا نُسمعهم كثيراً هذا الجواب عندما يطلبون منا شيئاً: يا بُنيّ أنت لك حقُّ الاختيار والقرار، فأنت عاقلٌ وذكيّ، لكني أنصحك ألا تفعل؛ لأنك ستندم، وستقع في الشيء الذي يضرك عاجلاً أم آجلا.

فكم في تكرار هذا الجواب عليه من أثرٍ عظيمٍ على نفسيته ونبوغه، وكم ستبني فيه المراقبةَ الذاتية، والحنكةَ في تجاربه، والثقةَ بنفسه، والمعرفةَ والخبرةَ في نتائج اتخاذه لقراراته، والحوارَ الهادئ والبنَّاء.

وهنا أمرٌ ينبغي لكلِّ أبٍ ومُربٍّ أنْ يتفطَّن له: أن هناك تفاوتاً كبيراً بين ما نراه ونعتقده، وبين ما يراه الأطفال والمراهقون ويعتقدونه، وألا نقيس أذواقَنا وآراءَنا ورغباتنا عليهم، فثق تماماً أنَّ ما تراه صائباً صحيحاً قد لا يراه ابنك كذلك، وما تراه خطأً واضحاً: قد يراه ابنك صواباً محضاً، فعندما تُلزمه برأيك دون أنْ تتفهم وجهة نظره: فإنه يرى فيك تدخلاً في خصوصياته، وحرماناً له من أبسط حقوقه.

وخذ مثالاً على ذلك: عندما تذهب أنت وأولادك في نزهة، وتجلسون قرب مُسْتنقعٍ أو بحيرةٍ لا تبدو نظيفةً، فغايةُ الاستمتاع لك ولزوجتك: أنْ تجلسوا بقربها، وتحتسوا الشاي والقهوة، وتتبادلوا الأحاديث والكلام، والضحك والتعليق على الأولاد.

ولكنَّ غايةَ الاستمتاع بالنسبةِ للأولاد: هو الخوض في البركة، واللعب في الطين والرمل، ويزيد من سعادتهم عندما تتسخ ثيابهم وأجسادُهم.

وما يفعله أكثر الآباء والأمهات تجاه هذا التصرف الطبيعي من أولادهم هو منعهم من ذلك، بل وإفسادُ نزهتهم بالصراخ عليهم، وزجرهم وتهديدهم بالرحيل!!، فلا هم استمتعوا بنزهتهم، ولا تركوا أبناءهم يستمتعون.

وماذا في ذلك لو تركوهم يلعبون ويخوضون؟ أليس غاية ما يُصيبهم وسخٌ على أبدانهم وملابسهم؟ فهذا غاية أمنية الأطفال التي بسببها يُفرغون طاقتهم، ويُنمون بها عقولهم، وعلاج هذه المشكلة ـ في نظر هؤلاء الآباء ـ بتنظيفهم عندما يرجعون إلى البيت.

***

القاعدةُ الثالثةُ والعشرون:

أخبرهم بما تشعر به تجاه أيِّ سلوكٍ يُعجبك أو لا يُعجبك، وهذا هو الأسلوب الناجح حيث يعتمد على وصْف مشاعر المتكلم باستخدام كلمة: «أنا» فتقول مثلاً: أنا أنزعج من كذا.. أنا أعتذر من كذا.. أنا أحبُّ كذا

فإذا فعل ابنك شيئاً يُضايقك فقل: يا بنيّ هذا الشيء يُضايقني ويُزعجني، وأنا أعلم أنك لا تفعل شيئاً يضيق صدري.

وهذا الأسلوب أولى من قولك له: لا تفعل هذا، أو لا تكرر هذا الفعل السيئ.

وإذا فعل شيئاً تحبه فقل: يا بنيّ لقد فعلت هذا الشيء وقد فرحت به جداً، فلقد أدخلت على قلبي السرور.

وهذا الأسلوب أحسن من قولك له: أحسنت على فعلك، أو ممتاز.

وهذا هو الأسلوب الأمثل في إقناع الطرف الآخر بما تحبه أو بما تكرهه، سواء استعملته مع ولدك أو زوجتك أو صديقك.

❋ ❋ ❋

القاعدةُ الرابعةُ والعشرون:

كن صريحاً وصادقاً مع أبنائك، ومع أسئلتهم المحرجة

واعلم أنك إن لم تكن كذلك فإن ثقتهم بك ستهتز، وسيشككون بأيِّ معلومةٍ أو خبرٍ يصدر منك.

ومما ينبغي أن تكون صريحاً وصادقاً فيه الحالات التالية:

١ - في مواعيدك، فإذا حدَّدت لهم مَوعداً فلا تُخلفه أبداً إلا لضرورة، وحبذا لو أشعرتهم أنك ستتأخر.

٢ - في وعدك، فإذا وعدتهم أن تخرج بهم، أو تعطيهم شيئاً فلا تتراجع عنه.

٣ - في وعيدك، فإذا توعدت من فعل شيئاً بعقابٍ أو حرمانٍ فلا تأخذك العاطفةُ والشفقةُ في ترك الْمُضيّ فيه[١].

٤ - في مدحك وذمِّك، فلا تمدحه إلا على شيءٍ يستحقُّه، ولا تُكثر منه حتى لا يُصبح لمدحك وتشجيعك وقعٌ عليه.

ولا تذمّه أو تُعاتبه إلا على شيءٍ يستحقُّه، وعلى شيءٍ يُعاتَب على مثله.

ولا تُكثر منه حتى لا يُصبح لعتابك وقعٌ عليه.

٥ - في اعتذارك عمّا بَدَر منك من تصَرُّفٍ خاطئٍ في حقِّه أو في

---

(١) إخلاف الوعد بالعقوبة ليس دائماً سيِّئاً. (الشيخ محمد الدويش).

أيِّ أمرٍ، ولا تُبرر لِخَطئك مهما كان صغيراً، وقدِّم له عُذرك واعتذارك إنْ أخطأت في حقِّه من قصدٍ أو من غير قصد، وليس في ذلك إهانةً لك، بل هو مما يزيده إعجاباً بك، وتصديقاً وقبولاً لك.

٦ ـ في الأمور الحساسة، فإذا كتمت عنهم الإجابة كلما سألوك فإن ثقتهم بك سوف تتغير، وسيلجئون إلى غيرك ليستقوا منه الإجابة الشافية الصريحة، وربَّما انْجرُّوا إلى أمورٍ لا تُحمد عقباها.

«وإذا كان الحديث عن النمو الجنسي من المحرمات الأسرية التي لا يجوز الخوض فيها، فإن الابن يكون عرضةً لأفكارٍ خاطئةٍ، من خلال مواقف الآباء التي يلاحظها، أو من خلال خرافات الأصدقاء التي يتداولونها، فيعتقد الطفل أن الموضوع لا يجوز الحديث فيه. ويبقى الصراع مسيطراً عليه، لا يجد من يقدم إليه النصح والتوجيه في مرحلةٍ هو في أمس الحاجة إليها.

فأحسن أسلوبٍ للتعاطي مع الموضوع هو توعية الطفل بالمعلومة الصحيحة حول الجنس، وتشجيعه على الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية، فيصبح الدافعُ الجنسيُّ في تصوره جزءاً طبيعياً من حياة الإنسان، يحقُّ الاستمتاعُ به في إطار الضوابط الأخلاقية.

«كيف نولد؟ ومن أين؟» أسئلةٌ من حقِّ الطفل أن يطرحها، ومن واجب الآباء أن يُقدِّموا الجواب بالبساطة والصحة، دون التعقيد العلمي.

إنها فرصةٌ لتعلم الصراحة والانفتاح مع الوالدين في مثل هذه المواضيع»[١].

❁ ❁ ❁

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

القاعدةُ الخامسةُ والعشرون:

لا تتدخل في مشاجرة الأبناء بعضهم مع بعض، إلا عند الضرورة

فالأبناء غالباً يستطيعون حلَّ مشاكلهم بأنفسهم، كأن يتنازل بعُضهم عن بعض حقه ليتصالحوا، لكن إنْ علموا أن وراءهم أباً أو أماً يلجئون إليه، ويحقق في الأمر، فلن يعتمدوا على أنفسهم في حلِّ مشاكلهم وخلافاتهم، وسيعتمدون على غيرهم، بل ويُتعبونهم في إحالة مشاكلهم إليهم دائماً مما يسبب للآباء إرهاقاً وتكدُّراً.

وبالتالي: لن تتكون لديهم الملكة الكافية في حلِّ مُشكلاتهم بأنفسهم.

فالأفضل أنْ تدع ولدك يتصرف في المواقف الصعبة في صغره، حتى إذا كبر كانت لديه الخبرة الكافية في ذلك.

لكن إنْ كان من بين الأبناء ولدٌ مُتسلِّط، أو يكبرهم سنّاً، ويُؤذي إخوته ولا حيلة لهم به فلا بأس بالتدخل حينها، ووضع حُدودٍ لهذا الابن المتسلط.

القاعدةُ السادسة والعشرون:

دعه يعتمد على نفسه، ولا تبادر بمساعدته، إلا عند انْغلاقِ الأبواب في وجهه

وما أكثر الآباء والأمهات الذين لا يُعطون أبناءهم فرصةً ليعتمدوا على أنفسهم، ويكتشفوا مواهبهم، ويُعملوا عقولهم، بل تجدهم يُبادرون بإيجاد الحلول السريعة لهم، فما إن يطلب الابن مساعدةً إلا وتراهم يُسارعون إلى ذلك.

والذي ينبغي أن يتركوهم يعتمدون على أنفسهم في دروسهم ومُذاكرتهم، مع شيءٍ من التوجيه والنصح، وكذلك في حال حدوث شجارٍ بينهم ـ كما سبق ـ.

«فالآباء الطيبون يقومون بكل شيءٍ نيابةً عن أطفالهم، وتكون النتيجة: أبناءً لا يدركون معنى الحياة، غير مبالين، يتَّكلون على الغير، فيصاب الآباء بخيبةٍ في تربيتهم لأبنائهم.

إنَّ التربية على تحمل المسؤولية تفرض إعادة النظر في الأفكار والتوقعات والمواقف عند الآباء الطيبين»[١].

قال أحدُهم: كنت أسير بالطريق، وأمامي امرأةٌ تسير مع طفلها، فعثر الطفل وسقط أرضاً وهو يبكي، فمشت أمه وتركته، فهويت لأساعده

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

فلمحتني أمُّه فنهتني عن ذلك، قلت: لم؟ قالت: إنْ ساعدتُه هذه المرة: طلب مني الْمُساعدة في كلِّ مرَّة![١].

❊ ❊ ❊

(١) والتوازن في هذا مطلوب، فترك المساعدة أحياناً قد يُشعر الطفل بضعف قيمته وقدره عند والديه. (الشيخ محمد الدويش).

القاعدةُ السابعةُ والعشرون:

لا تُفارقِ البسمةُ وجهك، ولا الكلمة الطيبة لسانك

إنك إذا عوَّدت أبناءك أنْ تُسمعهم كلاماً طيباً، وأنْ يروك مُبتسماً بشوشاً: جذبت قلوبهم، وسحرت عقولهم، وكنت عندهم أحبَّ الناس، وانكسر الحاجز الذي حجز الكثير من الأبناء عن الحديث مع آبائهم، والبوح لهم بأسرارهم، والصراحة معهم في كلِّ شيء، وانكسر حاجز الخوف والقلق.

وهم حينما يرون تغيُّراً في وجهك، وصرامةً في قولك: علموا أنك غاضبٌ، وأن غضبك لأمرٍ يستحقُّ الغضب عليه، فينتهون عند نهيك، ويأتمرون عند أمرك.

ولْنكن في بشاشتنا معهم كما كان النبي ﷺ، حيث كان بشوش الوجه، طلِق الْمُحيَّا لجميع الناس صغارهم وكبارهم، قَالَ جَرِير رضي الله عنه: ما رَآنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. متفق عليه[١].

ولْنكن في طيبِ كلامنا معهم كما قال الله تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طـه: ٤٤]، قال العلامة القرطبي رحمه الله: «ينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً مع البَرّ والفاجر، من غير مداهنة؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون:

(١) البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٦٥١٩).

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤]، يعني لفرعون، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما ربهما باللين معه». اهـ كلامه[١].

فانظروا ـ معاشر الآباء والأمهات ـ كيف أُمر النبيان الكريمان، موسى وهارون عليهما السلام، أن يتلطفا في القول مع فرعون، الذي ادعى الألوهية من دون الله تعالى، وقال للناس: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]! وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]!، فأمر الله رسولَيه إليه أنْ يُكلِّماه بكلامٍ هيِّنٍ رفيقٍ، ليِّنٍ سهلٍ رقيقٍ؛ ليكون أوقعَ في نفسه، وأدعى لأنْ يقبَل دَعوتَهُما وكلامهما.

وكم نحتاج نحن ذلك في تعاملنا مع أهلنا وزوجاتنا وأولادنا، فهم أولى بالرفق واللين، قال ﷺ: **«والكلمة الطيبة صدقة»**. متفق عليه[٢].

فلا ينبغي للوالدَين أنْ يحرما أبناءهما من عباراتِ العطف والحب والرحمة، صغاراً كانوا أو كباراً.

وحرمانُهم من هذه العبارات الهامة: هي من أعظم أسباب انحرافهم، وبخاصةٍ من الأطفال والفتيات، فقد قام أحد المشايخ بزيارة بعض سجون النساء، ووزَّع عليهن استبياناً عن أكثر أسباب وقوعهن في الجريمة، فلاحظ أن ثمانين بالمائة منهن، سببُ انْحرافهن عدم إشباع العاطفة لديهن، فبحثن عمَّن يسدُّ هذه الحاجة عند الآخرين، حتى وقعن في براثن الرذيلة والعياذ بالله[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢/١٦.
(٢) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٣) يُلحَظُ هنا أنَّ هذه وجهةُ نظر الفتاة، ومن طبيعة الشخص أنْ يُحمِّل الآخرين أخطاءه وما يُصيبه، كما أنَّ هناك فرقاً بين العاطفة التي تبحث عنها الفتاةُ مع الشاب، فهي مرتبطةٌ بالشهوة والغريزة، وبين عاطفة الوالدين. =

القاعدةُ الثامنةُ والعشرون:

اعْدل بين أولادك في كلِّ شيءٍ

إنَّ هذه الشريعةَ العظيمة لم تدع مجالاً فيه شحناءٌ ونُفرةٌ بين الناس إلا جاءت بسدِّه، فكيف لو كان بين الإخوة وأبناء الأم الواحدة؟.

فهذا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنهما أعْطَاه أبوه عَطِيَّةً دون سائر إخوته، فَقَالَتْ زوجته: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأخبره بالخبر، فقَالَ: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**» قَالَ: «**لَا**»، قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. متفق عليه[١].

فلا يحق للأب أو الأم أنْ يُميِّزوا بين أولادهم في العطايا؛ لأن ذلك يُوغر الصدور، ويُحدث الكراهية بينهم.

وليس هذا قاصراً على العطايا فقط، بل في كلِّ شيء؛ كالقُبَل، والمدح، والبشاشة، واصطحابهم معهم لأيِّ مكان.

يقول إبراهيم التيمي رحمه الله: كانوا ـ أي: السلف الصالح والصحابة ـ يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القُبَل[٢].

= نعم، غياب العاطفة من الوالدين له أثرٌ، لكن تفسير حالات العلاقات مع الجنس الآخر بهذا العامل وحده يحتاج لمزيدٍ من المراجعة العميقة. (الشيخ محمد الدويش).

(١) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (٤٢٧٣).

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

نعم، حتى في القُبَل، فإذا قبَّلت أحداً منهم: فقبل الآخر، حتى لا تسري الغيرةُ والكره في نفسه، وحتى لا يتمرَّن على الظلم والجور.

وهذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ضمَّ ابناً له إلى صدره وكان يحبه، فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة![1].

إنه الإسلام الذي ربَّانا على العدل والإنصاف، وحذَّرنا من الجور والإجحاف.

فالأطفال لديهم حساسيةٌ شديدةٌ تجاه التمييز في المعاملة من قِبل الآباء والأمهات، ومن الأسباب الرئيسيَّةِ في حالات التنافر والشحناء والخصومة بين الإخوةِ كان سببها انْعدامُ العدل من قِبل الآباء أو الأمهات.

بل إن بعض الإخوة قد يرتكب جريمةً أو سلوكاً عُدوانيّاً تجاه أخيه، إذا أحسَّ أن أباه يُفضله عليه.

وهذا ما حصل من إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ظنوا ظنّاً خاطئاً أن أباهم يفضل يوسف عليهم، قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨].

فقادهم ذلك الشعور إلى الانتقام منه، حتى همُّوا بقتله وسفك دمه، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: ٩].

والدافع لهم على هذه الجريمةِ الخطيرة: هو أن يحصلوا على محبةِ أبيهم واهتمامه بعد التخلص من أخيهم يوسف.

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

«ومن مظاهر التفريق بين الأولاد ـ ما تجده عند بعض الآباء، حيث يخص أحد أبنائه الكبار بمبلغ من المال، ويشتري له قطعة أرض، وربما بناها له دون حاجة إلى ذلك، فإذا قيل له: وما نصيب الصغار والبنات؟ قال: الصغار نعطيهم إذا كبروا، والبنات يتزوجن ويكفيهن الأزواج المئونة.

بل ربما أعطى بعض الأولاد، ومنع بعضهم الآخر، أو زوج بعضهم دون الآخر مع أن السن متقاربة، والحاجة واحدة، ولكنه يفرق بينهم لهوى في نفسه، أو لأن هذا من تلك الزوجة الأثيرة عنده، وذاك من الزوجة التي ليس لها ود في قلبه»[١].

❊ ❊ ❊

(١) التقصير في تربية الأبناء للشيخ محمد الحمد: ٦.

القسم الثاني

العلاج

حيث تُعامله مُعاملة الطبيب الْمُعالج، فتعرف الداء، وتطلب الدواء.

واعلم أن من لم يأخذ بأسباب الوقاية، ولم يُبادر في طلب الأسباب التي تقي من حدوث الأخطاء والانحراف الأخلاقيّ والسلوكيّ: فإنه لن يتمكن من العلاج النافع، وإن تمكن فلن يكون علاجاً فعَّالاً لا تبعات له، إلا أنْ يشاء الله.

ويحتوي هذا القسم على قاعدتين تَرْبَويَّتين:



القاعدةُ الأولى:

أنْ تتعامل برويَّةٍ وحكمةٍ مع أخطائه وتصرُّفاته السيِّئة، وأنْ تتجنَّب الطريقةَ السائدةَ في التعامل معه، وهي الصراخُ واللومُ والحنق، والسبُّ والتحطيم، كأن يأتي من الليل متأخراً دون علمك: فتُخاطبه بنبرةٍ حادة: لماذا هذا السهر؟ وأنت لا تسمع الكلام.. ونحو ذلك؟ فما هي النتيجة؟ وهل فعلت هذا الأسلوب العقيم، ليتوب ويستقيم ويقتنع، أم تريد إفراغ ما في خاطرك من الغضب والحنق؟ فلا ينبغي أنْ يصدر هذا من أبٍ مربٍّ مُشْفق

«فالكبار عمالقةٌ أمام عينه، فما بالك إن صرخوا، وبخاصةٍ إذا صدر هذا الصراخ من والديه اللذين يحبهما، إنهما مصدر الحماية لجسده الصغير وملاذ أمانه»[1].

فينبغي لمن أراد عِتاب ولده، أو تعنيفَه على خطأ وقع به أنْ تكون نبرةُ صوته نبرةَ حزمٍ، لا نبرةَ غضب وصراخ، وأنْ يتجنَّب التَّلْويح بيديه، وعقْدَ حاجِبَيْه.

فإنَّ هذا الأسلوب الغليظ في التعامل، يُشعره بأنك تريد فرض السيطرة عليه، لا أنَّك ناصحٌ مُشفقٌ عليه.

«فعندما يصرخ الكبار في وجه الأطفال لا يفعلون أكثر من توجيه

---

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، لمأمون مبيض.

الدعوى للطفل لأنْ يتحدَّى أكثر، وأنْ يستمرّ في السلوك السيئ أكثر»[١].

وتذكروا ـ معاشر الآباء ـ: أن هدفكم من توجيههم وعتابهم هو أن يستجيبوا لنُصْحكم، لا أن يخافوا منكم.

وإنَّ الأسلوب الأمثل في التعامل مع خطأ ابنك مهما عظم يتمثَّل في الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: أن لا تُعاتبه أو تناقشه أمام الآخرين، وبخاصةٍ أمام أصدقائه وأقرانه، حيث يعتبر ذلك إهانةً في حقه، بل ليكن ذلك بانفرادٍ.

الخطوةُ الثانية: أنْ تُناقشه عن خطئه بهدوء، وتُقرِّرَه بالخطأ الذي ارتكبه، وأنك مُتضايقٌ ومُنزعجٌ بما حصل منه، وتُذكِّره بخصاله وسجاياه الجميلة والطيبة، وأنك تستغرب كيف بدر منه هذا الخطأ، وابْتعد عن الصراخ وعقدِ الحواجبِ ورفعِ الصوت، فهو الذي يُحفزه للدفاع عن نفسه، والإصرارِ على خطئه وغيِّه.

الخطوة الثالثة: أنْ تطلب منه أنْ لا يُكرِّرَ ذلك، وتُبيِّن له بوضوح: أنك إن كررت ذلك، فإني سأحرمك من الشيء الفلاني، لشيءٍ يُحبه كجواله أو سيارته، ونفذ ما قلته بحزمٍ إنْ فعله مرةً أخرى[٢].

---

(١) فن التعامل مع الأطفال للدكتور فهد خالد: ١١٨.

(٢) للدكتور «سبنسر جونسون» الذي تحظى مؤلفاته بأفضل نسبة مبيعاتٍ في العالم: كتابٌ سمَّاه: أسلوب الدقيقة الواحدة، والذي يعد ـ كما جاء بصحيفة النيويورك تايمز ـ من أكثر الكتب مبيعاً، يقول فيه ـ باختصار: أسلوب الدقيقة الواحدة أسلوبٌ حديثٌ ربما تشعر في بداية تطبيقه بأنه أسلوبٌ غريبٌ، ولكنك سترتاح بعد ذلك وتمارسه بشكل طبيعي، أخبر أبناءك أولاً بأنك لا تريد أن تحكمهم أو يحكموك، ولا تريد أن تكون متسلطاً في البيت.

دع أبناءك يشعرون بعدم الرضا عن تصرفهم الخاطئ، فإذا ما ارتكب ابنك خطأً ما: انظر في عينيه مباشرة، وأعد عليه ما فعله باختصار دون أن يأخذ من وقتك إلا ثوانٍ معدوداتٍ، أشعره بعدها أنك غاضبٌ من فعله، ودعه يشعر بما تُحِس به في النصف =

وكن على يقينٍ بأنَّ سُلطةَ تُمَرَّرُ وتُنفَّذ بصوتٍ هادئٍ وحازم خيرٌ من صراخٍ عابر.

فالأول: هو الذي يَحُدُّ من الأخطاء، ولا يَجرح المشاعر، ولا يُؤثِّر على العلاقة.

والثاني: هو الذي لا يَحُدُّ من الأخطاء غالباً، ويَجرح المشاعر، ويُؤثِّر على العلاقة.

ركب أحدُ الآباء الْمُربين هو وعائلته لزيارةِ أخوالهم، وتأخر الابن، وقد أمرته أمُّه أنْ يلبس حذاءاً مُعيَّناً ونهته أنْ يبلس غيره، فلمَّا حضر إذا به قد خالفها! فصرخت عليه الأمّ بأنْ يرجع ويلبس ذاك الحذاء، وبدأت تدعو وتتحسَّب، والأبُ ساكتٌ، فلما ذهب قال لها: ماذا اسْتفدتِ؟ قالت: اسْتفدتّ أني أخرجت ما في قلبي! قال: ثم ماذا؟ فما كان منه إلا أنْ أخبر الابن أنه سيتأخر عن الذهاب إلى أخواله ساعةً جزاءً لعناده واسْتهتاره، وقال له بهدوءٍ: ألم تُخالف كلام أمّك؟ قال: بلى، قال: فتحمّل نتائج خطئك.

فهل تعتقدون أنّ الابن أو إخوته سيقعون في نفس الخطأ مرّةً أُخرى؟ بالطبع: لا.

= الأول من الدقيقة، فلا يكفي أن يتلقى الابن أو الابنة التأنيب، ولكن المهم جداً أن يشعروا بهذا التأنيب، دعه يشعر بأنك لا تحب ما فعل، وقد يرافق ذلك إحساسٌ بالانزعاج، ثم خُذ نفساً عميقاً، وأشعر بهدوءٍ نفسيٍّ، وخلال النصف الآخر من الدقيقة: تَهْدَأُ وتَلمس أطفالك بطريقةٍ تُشعرهم بأنك لا تقف ضدهم وإنَّما معهم.

اذْكُرْ لأطفالك أنك لا تقبل بسلوكهم الحالي، لكنهم هم أشخاصٌ طيبون، قال لهم: أحبكم، واحْتَضِنْهُم.

وخلال اليوم نفسه استمع إلى ما يريد أن يقوله أطفالك لك، وشعورهم تجاهك وتجاه فعلهم.

فنحن نحتاج في تعاملنا مع الأخطاء الْمُتكررةِ إلى الشدّة والحزم، بدلاً من اللوم والشَّتْم.

واعلم أنَّ كثرة اللوم والعتاب لا يأتي بنتائجٍ مُرضيةٍ غالباً، بل إنَّ الْابن الْمُعاتَبَ سَيُظهرُ العناد، وسَيُثْبِتُ لك أنه على حق، وأنه رجلٌ يَعتمد على نفسه، وفي النهاية سيفعل ما أراد، ولن تتمكن من منعه والسيطرة عليه، فما هي النتيجة؟ أمْرضت وأتْعبت نفسك، وخالفت شرع ربك بأمره لك بالحلم والصبر واللين والرفق، وخسرت ونفَّرت ابنك.

فإذا لم يكنْ ولدُك كما تُحبّ وتريد فلا تعاملْه مُعاملةَ الْمُجرم العنيد، ولا تخسره بكثرة النقد الشديد، ولا يكن شعارُك معه: إما أن تُوافقني، وإما أن تُفارقني!.

حصلتْ بين معاوية رضي الله عنه وبين ابنه يزيد سوء تفاهم، فأرِق لذلك ليلته، وناله همٌّ شديدٌ لذلك، فلما أصبح بعث إلى الأحنف بن قيس رحمه الله فأتاه، فلما دخل عليه شكا له الحال، وطلب منه الحلَّ الأمثل في التعامل معه فقال له: يا أمير المؤمنين أولادُنا هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرضٌ ذليلة، وسماءٌ ظليلة، فإنْ غضِبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً لا تُعطيهم إلا نزراً، فيملُّوا حياتك، ويكرهوا قربك.

فجاء هذا الكلام السديد على قلبه كالماء البارد، وقال له: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس مَوجدةً على يزيد، فلقد سَلْلَتَ سَخِيْمَةَ قَلْبِي[1].

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٥.

نعم! لِنكنْ على يقين أنه لا يمكننا أن نُشكِّل شخصية أبنائنا كما نريد، ولكن بإمكاننا أن نُرشده إلى الصواب والحقّ، وأنْ نكون له ناصحين مُرشدين، بلا إفراطٍ في ذلك.

ولْنتأمل قولَه تعالى لنبيه وخليله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقولَه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقولَه تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الهداية ليست علينا، بل علينا التوجيه والنصح والبلاغ.

وإذا كان الرسول الْمُوحي إليه ليس عليه إلا البلاغ فقط، حيث قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، ونهاه الله أن يحزن على من لم يستجب للنصح، حيث قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: ٣].

فأنت مع أبنائك من باب أولى، فأرشدهم بأسلوبٍ حكيم، وتعاملٍ لطيفٍ لا يُنفر، ولا يأخذك الحزن والقلق الشديد، فلو شاء الله لهداهم، وليس عليك إلا البلاغُ والنصح، بأسلوبٍ حكيمٍ، فإن كان بأسلوبٍ مُنفر فلم تؤد الواجب في النصيحة، ولم تبرأ ذمتك بالبلاغ، وأصبحت سبباً في انحرافه وتمرُّده.

وخذ قاعدةً واجعلْها نبراساً ومنهجاً في حياتك: قدِّم الحلَّ النافع، والاقْتراح الْمُناسب، بدلاً من النقد الجارح، واللوم الْمُنفِّر.

فحينما ترى أبناءك يلعبون داخل البيت، ويَمْلؤونه بالضجيج والصراخ: فلا تكثر التذَمُّر والسخط من ذلك، وتصرخ عليهم بالكفِّ عن

الإزعاج، فإنَّهم لن يكفوا عن ذلك، وتكون قد تَسَبَّبت على نفسك بتكدير الخاطر، ولم يَعُد لنهيك وكلامك هيبةٌ وأثرٌ في قلوبهم؛ لأنك تُكثر عليهم من التذمر والنهي وهم لا يُبالون بك، وهكذا الحال في غالب الأيام!.

وبدلاً من هذا كلِّه: أوجد حلاً مُناسباً لهذه الْمُشكلة، وأوجد لهم مكاناً بديلاً عن المكان الذي في داخل المنزل، وتكون قضيت على المشكلة، وأرضيتهم وأسعدَّتهم، ولم يتكدَّر خاطرك.

وعندما ترى تردِّياً في مُستوى ولدك الدراسيّ، فبدلاً من لومه والتشنيع عليه، وتنفيرِه وتثبيطه: أوجد له حلاً لهذا الضعف، إما بإحضار مُدرسٍ خصوصيّ، وإما بمُساعدتك له في الدروس، وشرحك له وغير ذلك.

فما أسهل اللوم والتذمُّر، وما أصعب - مع سهولته في الواقع - إيجاد الحلول.

كنت مرَّةً في نُزهةٍ مع الأقارب، وقد اتَّفقنا على اصْطحاب الأطفال، فلما جاء المساء، وبدأ الأطفال يلعبون حولنا - نظراً لخوفهم من الظلام - بدأ التململ يَظْهر على الحاضرين، والتذمُّر والتشكِّي يُهَيمن عليهم، حتى قال أحدهم: ما أكْرَهَ اصْطحاب الأطفال.. ما أتعس هذه الحالة!، مع إن ابنه من ضمنهم، وهو الذي وافق على إحضار الأطفال!.

فإذا بأحدهم يتصرَّف بحكمةٍ وهدوء، فدعا أحد الشباب الجالسين وقال له: أرجو منك أن تذهب بالأطفال إلى بيوت أهلهم بشرط أن تقبل مني هذه المائة ريال! وهكذا انتهت المشكلةُ بإيجاد الحلّ النافع، بدلاً من التذمر الذي لو اسْتمَّر لانْتهى بتكديرِ الخواطر، وفسادِ النزهة.

❊ ❊ ❊

القاعدةُ الثانية:

الْتزم الهدوء عند توتر الابن أو عند ارتكابه خطأً فادحاً

فالأبناء كغيرهم من البشر، يحدث بينهم وبين آبائهم سوء تفاهم وتوترٌ وهيجانٌ من قِبَل الأبناء، فينبغي للمربي العاقل أن لا يُقابل ذلك بالمِثْل، فيترتب على ذلك ما لا يُحمد عقباه.

ويكون من الأسلم انسحاب الأبوين، وتأجيل النقاش لوقتٍ آخر، وإتاحةُ الفرصة له بالتفكير، وعودة الهدوء والعقل له.

وكذلك ينبغي للأب والأم أنْ يلتزموا الهدوء عند ارتكاب الابن خطأً فادحاً، أو عملاً مشيناً، فليس التعنيف هو الحلّ دائماً، فكم من كلمةٍ طيبة، أو ردٌّ هادئٍ جميل أحدث ردَّةَ فعلٍ إيجابيةٍ من الابن، وتأثر بها، وصلُح حاله بعدها.

يقول مدير مدرسةٍ ثانوية: استيقظت مبكراً كالعادة وتوجهت للمدرسة، وعند دخولي في داخل المبنى وإذا بي أتفاجأ بكتاباتٍ على الجدران غير مناسبة، يقول المدير: وبعد التحري وحصر المتغيبين في ذلك اليوم اكتشفنا الطالب الذي قام بهذه الفعلة، فاتصلت على ولي أمره، وبعد حضوره رأى ما خطته يدا ابنه على جدران المدرسة، فقال المدير له: انظر بعينك ماذا فعل ابنك بالمدرسة، وهي جديدة، والدولة خسرت أموالاً طائلة في خدمة أبنائكم.

يقول المدير: أنا منفعلٌ ومُتوتر والأب في قمة هدوئه! فأخرج

الجوال واتصل على ابنه وقال له بهدوء: أنت الذي كتبت هذه الكتابات؟؟ فاعترف الابن، فقال الأب: لماذا؟؟

فتلكّأ في الإجابة، فأمره بالحضور، ثم اتصل على عامل دهانات، وحضر وتفاهموا على السعر واللون المناسب، ثم حضر الابن.

يقول المدير: فاعتقدنا أن الوالد سوف يؤنب ولده أشد التأنيب، وخفنا أن يضربه عندنا، لكن المفاجأة أنه التفت على ابنه وقال له كلمتين وبهدوءٍ عجيب: يا ولدي إما انفعني وإلا لا تخسرني.

وقام الأب بعدها واستأذن في الانصراف.

يقول المدير: نظرت للولد فإذا وهو واضعٌ كفيه على وجهه يبكي، وأنا والمرشد الطلابي في قمة الذهول من أسلوب هذا الوالد، ونحن نحاول تهدئة هذا الطالب، وهو في حالة بكاء.

وبعد أن هدأ قليلاً قال وهو يبكي: يا ليت أبي ضربني ولم يقل هاتين الكلمتين، وبعدها اعتذر الطالب منا، وأصبح من خيرة التلاميذ في المدرسة.

** ** **

وعلى الأب الذي يرى تغيُّراً واضحاً في سلوك ابنه أنْ يُبادر بجدٍّ إلى علاجه وتقويمه، وهذه أهمها:

١ ـ تغييرُ أصدقائه، فلا بدّ أن تتغير رفقته الذين هم أكبر سببٍ في فساده وانحرافه.

فإنْ استمر على صحبته ورفقته السيئة فلن تنفع الأساليب التي سيتخذها الأب مهما كانت.

ويُمْكنك ـ أيها الأب ـ أنْ تغير أصدقائه بأحد الطرق التالية:

أ ـ أنْ تجعله يخرج معك في نزهاتك وسفريّاتك مع أصدقائك، ويصطحبون أبناءهم، فسيتم التعرف عليهم، والتعلق بهم، والسفر خاصةً فرصةٌ كبيرةٌ لتوطيد العلاقات.

ب ـ أنْ تجعله يلتحق بالحلق والأندية الصيفية.

٢ ـ أنْ تُعيد له الثقة بك، والانتماء إلى عائلته عن طريق إكرامه وتشجيعه ومدحه، والصبر عليه والحلم عنه، والتجاوز عما يصدر منه من تصرفاتٍ سيئة.

٣ ـ أنْ تُشغله بما يُفيدُه، فالفراغ هو من أكبر أسباب فساده أيضاً، فهيِّئ له عملاً في محلٍّ تجاريّ، أو عندك في المزرعة أو الاستراحة، ووفِّرْ له ما يريد.

٤ ـ أنْ تسأل أهل الخبرة والتربية عن العلاج النافع، فقد تجد عندهم حلّاً تَسعد به طول حياتك، ويقطع عنك مُعاناتك.

٥ ـ أنْ تُبعد عنه أسباب الانحراف، ومُهيِّجات الفساد؛ كالقنوات الهابطةِ وغيرها، والبيئة التي تُغذيه بذلك، ولو تَطَلَّب الأمرُ إلى تغيير السكن أو البلد، وليس هذا بكثيرٍ على أولادك وفلذات كَبِدِك.

قال ابن القيم رحمه الله: فما اسْتُعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانِّه[1].

فلن يتخلص ابنك من الشر والضلال الذي هو فيه إلا بالبعد عن أسباب الشر ومظانّه.

أرأيت لو أنَّ ولدك ـ لا سمح الله ـ بدأ يظهر عليه داءُ الأَكَلَةِ، وهي التي تُسمَّى الغرغرينة، أكنت تُعطيه مُسكِّناتٍ لِيَسْكُنَ الألم، أم كنت

(١) عدة الصابرين: ٨٦.

تبحث عن طبيبٍ يستأصل الداء من أصله، ويقتلعه من جذوره؟.

وهكذا ابنك ـ يا رعاك الله ـ عندما يظْهر عليه داءُ الانحراف، ومرضُ السلوك السيِّئ، فاسْتأصل الداء من أصله، وهو الرفقة السيئة، والقنوات الهابطة، وطريقةُ تعاملك الجافة معه.

كيفيَّةُ التعاملِ مع المرض العُضويِّ:

هذا بالنسبة لعلاج السلوك والْمرض الْخُلُقيِّ، وأُحبُّ أنْ أستطرد قليلاً فيما يتعلَّقُ بالعلاج الْمَرضي الْعضويِّ، حيث إنَّه لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أنْ يكون مرضاً مُستديماً، كالشلل ونحوه ـ عافانا الله تعالى ـ فالواجب على الوالدين أن لا يدعا سبباً إلا فعلاه، وأنْ لا يستهينا بالبحث عن سبب العلاج ولو بشكلٍ جُزئيّ.

وممَّا ينبغي التَّنَبُّهُ له أنْ يكون التعامل معهم برفقٍ ولينٍ أكثر من غيرهم، حيث يشعرون بالنقص، فيأتي دور الوالدين بسدّ هذا النقص بمزيدِ رحمةٍ وشفقةٍ.

ولا ينبغي الإفراط في ذلك، حيث يشعر الابن بأنه ناقصٌ وأقلُّ من غيره، فتحدث عنده حالةٌ من الإحباط والشعور بالنقص.

بل ينبغي تعويضه بما يُناسبه من ألعابٍ، وإدخاله في بيئةٍ يُبدع فيها حسب قدراته ورغباته.

الحالة الثانية: أنْ يكون مرضاً عارضاً، كالزكام والحوادث ونحوها، فينبغي على الْمُربي الناجح أنْ يتبع الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: أنْ يتعامل مع الموقف باتزانٍ وتوسط، لا جفاء وعدم مُبالاةٍ، فيشعر الابن بانحطاط قدره عند والديه، ولا بخوفٍ مُفرط، فينمو فيه الخوفُ والجبن.

الخطوة الثانية: الْمُبادرةُ بالعلاج، فالإهمال قد يُسبب عواقب وخيمةً، فكم سمعنا ورأينا أثر ذلك، يُحدثني أحدُ الأصدقاء أنَّ أخاه أُصيب بارتفاع الحرارة، فلم يُبادر أهلُه بعلاجه، فزادتْ حتى بدى ذلك عليه، فلما ذهبوا للطبيب قال لهم: لقد تأخرتم! تلفت خلايا مُخِّه مِن شدّة الحرارة!.

الخطوة الثالثة: البعد عن المضادات الحيوية بقدر الإمكان، واسْتبدالُها بعلاجاتٍ نافعةٍ مُجرَّبة، خاصةً في الأمراض اليسيرة كالزكام والصُّداع وبداية الالتهابات، فعندما يعتاد الطفل مثل هذه المضادات فإنَّ مناعته ستَضْعف مع الزمن.

وهنا ينبغي التنبُّه إلى إنَّ الالتهابات الخفيفة لا تحتاج إلى مضادٍ لمعالجتها، كالْتهاب الحلق، والكحة، وآلام الأذن، وخاصةً الإنفلونزا.

فهذه الالتهابات يُمكن علاجُها بشرب السوائل وخاصةً الماء، سواءٌ كان لوحده أو مخلوطاً بالعسل أو الليمون، وتناول الطعام الجيد والصحيّ، والراحة الكافية، ولا لزوم للمضادات لمعالجة الإسهال، فقد يكون استعمالها مضراً.

وقد ذكر كثيرٌ من الأطباء والْمُختصِّين أن المضادات الحيوية تستخدم لعلاج الالتهابات البكتيرية، وهي ليست فعالة في علاج الالتهابات الفيروسية، وإنما هناك مضادات خاصة للفيروسات، إلا أنها ليست متوفرة دون وصفات طبية، وكثير من الأمراض الفيروسية الشائعة تختلط لدى الناس فيأخذون لها المضادات الحيوية.

لذلك لا ينبغي تناولُ المضادات الحيوية في حالة الإصابة بالسعال والزكام أو غيرها من الالتهابات الفيروسية، إلا في حال المضاعفات.

واستخدامُ المضاد الحيوي في حالة عدم الحاجة إليه والاستخدام

المتكرر لفترة طويلة للمضادات يسبب العديد من المضاعفات والأعراض الجانبية، وقد يعرض الإنسان للخطر.

وإن الاستخدام السيء للمضادات الحيوية يقضي على البكتيريا الطبيعية التي تعيش في الجسم، وتحل محلها البكتيريا المقاومة للعلاج، والتي لا تستجيب للعلاج بالمضادات، هذا بالإضافة إلى الأعراض الجانبية العديدة، مثل الإسهال، وآلام المعدة، والدوار، والحساسية، وفي الحالات الحادة ضيق النفس.

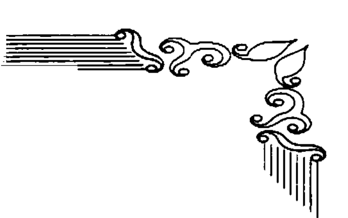
وهناك أعراض جانبية خاصة لكل مضاد حيوي، منها الحساسية المفرطة، فبعض الأشخاص تتولد لديهم هذه الحساسية نتيجة تناولهم المضادات الحيوية.

إنَّ من أهمِّ ما يلزم في هذه الحالة هو تناول الكثير من السوائل، وإعطاء الطفل كميةً كافيةً من الطعام ليستردّ عافيته ونشاطه، وليتمكن بها من مُقاومة المرض الذي أصابه.

ومن أنفع العلاجات لالتهاب الحلق والزكام: الغرغرة بالملح، فيستعمله الطفل ثلاث مرَّاتٍ يوميّاً، مع شرب ماءٍ مخلوطٍ بعسلٍ وليمون، وإنْ صاحبته حرارةٌ فيُعطى خافض للحرارة، وإن احتاج للبُخار فلا بأس، وخاصةً إنْ شعر بضيقٍ في التَّنفس، وهذه الطريقةُ تُغني عن المضادات تماماً، وهي مُجرَّبةٌ ومعمولٌ بها، وأنا أستعملها مع الأبناء منذ سنواتٍ ووجدتُّها تُغني عن المضادات والحمد لله.

وهنا يأتي دور الأب، فليست التربية مُقتصرةً على الأم فقط، وليس علاج الأبناء مقصوراً عليها فقط، بل يجب على الأب أنْ يُساهم في ذلك، وأنْ لا يتَّكل على الأم فقط.

** ** **



مُقارنةٌ بين المُربي الأول ﷺ، وبين تربية أكثر الآباء والأمهات

وأخيراً: فلْنعقد مُقارنةً بين الْمُربي الأول ﷺ، الذي اسْتطاع بحنكته وحكمته، وبأخلاقه وحسن تعامله أنْ يُربي الأطفال والشباب والرجال أحسن تربيةٍ، ويجعل منهم قادةً جذبوا بتعاملهم قلوب العباد، وفتحوا بعدلهم أرجاء البلاد، وتربية أكثر الآباء والأمهات، فعندها نعرف كم هي تربيتهم مُجانبةٌ للصواب، ومُخالفةٌ للمنهج الصحيح في التربية:

١ - الْمُربي الأول ﷺ وهو في أكبر أشغاله وأهمِّها يُعطي الأطفال حاجتهم من اللهو واللعب والاستماع، فقد كان يخطب الناس يوماً على المنبر، فأقبل الحسن والحسين وعليهما ثوبان جديدان يعثران بهما، فنزل النبي ﷺ وحملهما بين يديه وقال: «**صدق الله** ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، **نظرت إلى هذين الصبيين يعثران فلم أصبر**»[١].

وجاء مرةً إلى المسجد حاملاً بنت بنته «أمامة»، فكان النبي ﷺ يحملها وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها. متفق عليه[٢].

فليس هناك شغلٌ أعظم من هذا الشغل، ومع ذلك لم يُشغله ما هو فيه عن إعطاء الأطفال ما يحتاجونه من اللعب والتسلية.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٠٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود.
(٢) البخاري (٥١٦)، ومسلم (٤١).

بل ربما أمضى الكثير من الوقت لأجل إشباع رغباتهم ـ مع ما هو فيه من شغلٍ في الجهاد والدعوة والتعليم وتبليغ الدين ـ، تقول عَائِشَةُ رضي الله عنها: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَمُ.

قالت: فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ. رواه البخاري[١].

وأما واقع الكثير من الآباء والأمهات فهم مشغولون عن أبنائهم بالطبخ والمكالمات، والأحاديث الجانبية، وهي مع تفاهتها إلا أنهم مع ذلك لا يَقْبَلون أثناءها مِن الأطفال أيَّ شيءٍ من مزاحٍ وابتسامةٍ وغيرها.

٢ ـ الْمُربي الأول ﷺ كان لا يُعاقب ولا يُعاتب الأطفال على تقصيرهم، بل ولا على عصيانهم لأوامره، يقول أَنَسٌ رضي الله عنه: أَرْسَلَنِي النبيُّ ﷺ يَوْماً لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَاي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ**». قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ. رواه مسلم[٢].

سبحان الله! أيَّ أخلاقٍ كان النبيُّ ﷺ يتعامل بها؟

قال القرطبيُّ رحمه الله: وقول أنس: «والله لا أذهب! وفي نفسي أن أذهب»؛ هذا القول صدر عن أنسٍ في حال صغره، وعدم كمال تمييزه؛

(١) (٥٢٣٦).
(٢) (٦١٥٥).

إذ لا يصدر مثله ممَّن كمل تمييزه، وذلك أنه حلف بالله على الامتناع من فعل ما أمره به رسول الله ﷺ مشافهةً، وهو عازمٌ على فعله، فجمع بين مخالفة رسول الله ﷺ وبين الإخبار بامتناعه، والحلف بالله على نفي ذلك مع العزم على أنه كان يفعله، وفيه ما فيه، ومع ذلك فلم يلتفت النبي ﷺ لشيءٍ من ذلك، ولا عرَّج عليه، ولا أدَّبه، بل داعبه، وأخذ بقفاه، وهو يضحك رفقاً به، واسْتِلْطافاً له، ثم قال: «**يا أنيس! اذهب حيث أمرتك**»، فقال له: أنا أذهب. وهذا كله مقتضى خلقه الكريم، وحلمه العظيم. اهـ كلامه[١].

وأما الكثير من الآباء والأمهات فحدِّث ولا حرج في تعاملهم مع أطفالهم عندما يفعلون كفعل أنسٍ من التصريح بالمخالفة وعدمِ القيام بها، فالبعض يُبادر بالضرب، والآخر يتهجَّم عليه بالسبِّ والتهديد، إلى غير ذلك من الأساليب الجافة، وليس في قاموسهم العفو والصفح، ولا الحوار والنقاش عن سبب مُخالفتهم وعصيانهم.

وهنا سُؤالٌ يستحقُّ الوقوف عنده والتأمُّل فيه: كيف تجرَّأ أنسٌ على إعلان عصيانه ومُخالفته، مع ما يراه من النبي ﷺ من الحفاوة والإكرام؟

والجواب: لأنه مع كثرة عِشْرته وتعامله معه ﷺ رأى فيه اللِّين واللُّطف، والسماحة والرحمة، التي جرَّأته على ذلك.

وتأملوا أيضاً كيف أنَّ النبيَّ ﷺ لم يعتبر ما فعله أنسٌ هدراً لكرامته، ولا تنقُّصاً من قيمته، ولا تقليلاً لهيبته ـ كما يعتبره ذلك أكثر الآباء والأمهات ـ، بل اعتبر ذلك أمراً هو من طبيعة وجبِلَّةِ الأطفال، بل وجدها فرصةً سانحةً لِمُداعبته والضحك في وجهه، فهل تعتقدون ـ معاشر

(١) المفهم ٨/ ٢١٥.

الآباء والأمهات ـ أنَّ هذا الْمَوقف يمرُّ على أنسٍ دون أنْ يُحدث فيه شيئاً؟ لا والله، فقد أثَّر هذا الموقف عليه تأثيراً بالغاً.

٣ ـ الْمُربي الأول ﷺ كان لا يُعاتب الأطفال، ولا يُكثر عليهم اللوم والتوبيخ، فهذا أَنس رضي الله عنه خادمه الصغير يقول: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَهُ»(١).

الله أكبر! عشر سنوات في الخدمة ما سبه أبداً، بل ولم يقل له ولو مرةً واحدةً: أفّ، ولم يلمه على أيِّ عملٍ عمله.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فيلومون أبناءهم في اليوم أكثر من عشر مرَّات، بل ويسبُّونهم ويُعاتبونهم، فينشأ الطفل بليداً، نافراً من الأبوين، لا يكون لأمرهم ونهيهم وتوجيههم أثرٌ كبيرٌ عنده، لما عرفه فيهم من كثرة النقد واللوم والتوبيخ.

٤ ـ الْمُربي الأول ﷺ كان يُناديهم بأحسن الأسماء والعبارات، ويُسمِّيهم بأجمل الألقاب والكنايات، فيُنادي ابن عباسٍ رضي الله عنهما: يا غلام، ويُنادي طفلةً صغيرةً: يا أمَّ خالد، ويُنادي طفلاً صغيراً آخر: يا أبا عُمَير، فيُضْفي على هؤلاء الأطفال بهذا النداء وهذه الأسماء شعوراً بالحب والحنان والرحمة، ويشعرون خلالها بمكانتهم وأهمِّيتهم.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فنداؤهم يُوحي بالإحباط، والشعور بالنقص، فبعضهم يُنادي طفله: يا غبي، والآخر: يا مجنون، والآخر: يا ولد، والمحسن منهم من يُناديه دوماً باسمه مُجرَّداً عن كنيةٍ جميلة، أو لقبٍ يُعجبه.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٣٠٣٤)، وأصله في الصحيحين.

٥ ـ المُربي الأول ﷺ كان يُعطي الطفلَ حقَّه ومكانته، ويستشيره ويأخذ برأيه، بل ويستأذنه أيضاً!، أُتِيَ ﷺ بِقَدَحٍ مِن ماء، فَشَرِبَ منه، ثم نظر في وجوه القوم، فإذا عَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ هُوَ أصغرهم، وَالأَشْيَاخُ والكبار عَنْ يَسَارِهِ، فقَالَ: **«يَا غُلَامُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ الأَشْيَاخَ؟»** فَقَالَ الطفل الصغير: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. متفق عليه[1].

هكذا يعطي ﷺ للصبيِّ قيمته، ويُشعرُه بأهمِّيَّتِه وقدْرِه، حيث يستأذنه بكلِّ أدبٍ ولطفٍ **«أَتَأْذَنُ لِي!»**.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فربما لم ينطق بهذه الكلمة، ولم تمرّ على لسانه إلا إذا خاطب أصحاب الشخصيات الكبيرة المرموقة!، وأما أبناؤه وأحبابه فلا يُفكر أن يقولها، ولا يستسيغ نطقها.

وأما الاستشارة فآخر من يستشيره هو ابنه، فلا يستشيره في اختيار ملابسه، ولا في مكان النزهة التي سيذهبون إليها، ولا فيما يتعلق بالبيت والأسرة، مُعلِّلاً ذلك بأنه ما زال صغيراً لا يُؤخذ برأيه!.

٦ ـ المُربي الأول ﷺ كان مُسْتمعاً بالدرجة الأولى للأطفال والصغار، ولو كان كلامهم بالنسبة له لا يعني له شيئاً، فهاهي عائشةُ رضي الله عنها ـ وكانت حينها صغيرةً ـ تحكي إليه ﷺ قصةَ أبي زرعٍ مع أمِّ زرعٍ، وهي حكايةٌ طويلةٌ، ومع ذلك جلس واسْتمع لها، بل وتفاعل معها بقوله: **«كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ»**[2].

وأما الكثير من الآباء والأمهات فإنَّهم لا يستمعون إلى أبنائهم وإلى

---

(١) البخاري (٢٣٦٦)، ومسلم (٥٤١٢).

(٢) متفق عليه، البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٦٤٥٨).

مواقفهم وقصصهم، بل يُسكتونهم، ويصفونَهم بأنهم كثيرو الكلام!.

٧ ـ الْمُربي الأول ﷺ كان يُكافئ من يستحقّ المكافأة، ويعرض عليه نوع الْمُكافأة التي يرغبها، ويستشيره في اختيارها، يقول رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: **«سَلْ»**. فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: **«أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟»**. قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: **«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**. رواه مسلم[١].

وأما الكثير من الآباء والأمهات فيُكثرون من العقاب وينسون الثواب، وإنْ كافؤوا فبدون اسْتشارتهم في اختيار ما يُناسبهم ويرغبون به.

٨ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان يمسح على رؤوس الأطفال، يُشعرهم بحبِّه لهم، وبمودَّته تجاههم، فكان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم[٢].

ومرَّ على جَعْفَرٍ رضي الله عنه وهو صِبِيٌّ يلْعَبُ، فمَسَحَ عَلَى رَأْسه ثَلاثاً[٣].

ومَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَام رضي الله عنه وَدَعَا لَهُ، وذلك حينما ذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ وهُوَ صَغِيرٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ[٤].

بهذه اللمسات والْمَسحات يُغرقهم بالحنان والمحبة والرحمة، فيجذب بها قلوبهم، ويَسْحَرُ بها عقولهم.

---

(١) (١١٢٢).

(٢) رواه ابن حبان (٤٥٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وحسنه الألباني في التعليقات على صحيح ابن حبان (٤٦٠).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٧٦٠).

(٤) رواه البخاري (٢٥٠٢).

والكثير من الآباء والأمهات يستبدلون هذه اللمسات بلكماتٍ وضرباتٍ على الرأس، فينشأ الطفل عنيداً قاسياً، منزوع الرحمة والعاطفة إلا ما شاء الله.

٩ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان يُداعب الأطفال ويُمازحهم، ويُسلِّم عليهم، ويُشْبعُ رغبتَهم في اللعب والمرح، حتى وهو في أهمِّ مُهِمَّاته، خَرَجَ ﷺ مرةً إلى صَلَاة الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلٌ الْحَسَنَ ـ أَوِ الْحُسَيْنَ ـ فَتَقَدَّمَ إلى الصَّلاةِ فَوَضَعَهُ بِجانبِه، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَلَمَّا سَجَدَ أَطَالَ السجود، فَلَمَّا انْتهت الصَّلَاةُ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: **«فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»**[١].

أي: حتى يشبع من اللعب فوق ظهري، وينزل منه باختياره ورغبته!!.

وتقول أُمُّ خَالِدٍ بِنْتُ خَالِدٍ ﵄: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، قَالَ: **«مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُوهَا هَذِهِ الخَمِيصَةَ»** فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قَالَ: **«ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ»** فَأُتِيَ بِي النَّبِيُّ ﷺ، وفي رواية: فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَل، قال الحافظ ﵀: وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى صِغَر سِنّهَا إِذْ ذَاكَ.

قالت: فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: **«أَبْلِي وَأَخْلِقِي»** مَرَّتَيْنِ، وَالْعَرَب تُطْلِق ذَلِكَ وَتُرِيد الدُّعَاء بِطُولِ الْبَقَاء لِلْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ؛ أَيْ: أَنَّهَا تَطُول حَيَاتهَا حَتَّى يَبْلَى الثَّوْب وَيَخْلَق.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٦٠٣٣)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط.

قالت: فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا**»، وَالسَّنَا بِلِسَانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ. رواه البخاري[١].

وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى طَعَامٍ دُعِي لَهُ، فرأى حُسَيْنَ بن عليٍّ رضي الله عنهما يَلْعَبُ مَعَ الْصِّبيان، فَأَرَادَ ﷺ أَنْ يَأْخُذَهُ فَجعل الصَّبِيُّ يَفِرُّ هَا هُنَا مَرَّةً، وَهَا هُنَا مَرَّةً، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُضَاحِكُهُ ويُلاحِقُه حَتَّى أَخَذَهُ، فَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ظهره، وَالأُخْرَى تَحْتَ ذَقَنِهِ فَوَضَعَ فمه عَلَى فمه يُقَبِّلُهُ[٢].

هكذا يُداعب الصغار ويُمازحهم، ويتحبَّب إليهم، وكان إذا رأى الصغار سلَّم عليهم وحيَّاهم، كان أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه إذا مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ». رواه البخاري[٣].

وأما الكثير من الآباء والأمهات فلا يُبالون بذلك أبداً، ويندر منهم المزاح الجميل لأبنائهم، ومُداعبتهم والضحك معهم بمرحٍ وفرح، بل ويعتقد بعضهم بأنَّ ذلك مضيعةٌ لأوقاتهم، وهدراً لأشغالهم، ولم يعلموا أنَّ اللعب معهم يُكسبهم نُضجاً ووعياً، ويزرع فيهم المحبة والانتماء لهم.

وأما السلام عليهم وتحيَّتهم ومُصافحتهم فلا يكاد يعرفه بعضهم.

١٠ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان يُشجع الأطفال الماهرين، ويُقدِّمُهُم

---

(١) (٥٨٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٥٦١)، والترمذي (٣٧٧٥) وحسَّنه، والحاكم (٤٨٢٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وصححه الذهبي والألباني كما في السلسلة الصحيحة المختصرة (١٢٢٧).

(٣) (٦٢٤٧).

على من هو أكبر منهم إذا تميزوا عن غيرهم، فهذا عَمْرُوُ بْنُ سَلِمَةَ رضي الله عنه يقول: كُنَّا عَلَى حَاضِرٍ، فَكَانَ النَّاسُ يَمُرُّونَ بِنَا رَاجِعِينَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَدْنُو مِنْهُمْ فَأَسْمَعُ، حَتَّى حَفِظْتُ قُرْآناً، فَانْطَلَقَ أَبِي بِإِسْلَامِ قَوْمِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً»** فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ. رواه البخاري.

ويُؤمِّر أسامةَ بنَ زيدٍ جيشاً فيهم عمرُ بنُ الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تعالى عنهم، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فيُحْجمون عن تولية أبنائهم أموراً ومهامّاً بحجة صغر سنِّهم، فيتربى ضعيف الهمَّة، قليل الخبرة.

بل بعض الآباء لا يعتمد على ابنه في اختيار أموره الخاصة به، فهو الذي يختار له ما يلبسه ويأكله.

١١ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان إذا منع الطفل من شيءٍ ذكر له سبب ذلك.

أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِيْ فمه فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»**.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فيُصدرون الأوامر والنواهي دون أنْ يُكلفوا نفسهم عناء ذكر سبب ذلك، لكي يفعل الطفل ذلك بقناعةٍ تامةٍ.

١٢ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان لا يبالي بكلام الناس في تعامله وتربيته لأبنائه وأحفاده، فهو يفعل معهم ما هو أصلح لهم، وأحسن في كسب عواطفهم، فهاهو ﷺ يخطب الناس على المنبر، فيُقبل الحسن والحسين وعليهما ثوبان جديدان يعثران بهما، فينزل ويحملهما بين يديه، وهو واقفٌ أَمَامَ الجموع الغفيرة من الناس، وفي عبادةٍ وطاعةٍ.

ويصلي حاملاً بنت بنته أمامة، ويطيل السجود ليشبع أحد أبنائه من ركوب ظهره، وهذه الأفعال منه ﷺ يقوم بها تجاههم وهو في أجلّ عمل، وأعظم عبادة: هي من الأمور التي يراها الناس تافهةً، ولكنه ﷺ يراها حقّاً من حقوقهم، فيعطيها لهم ولو كان بين يدي ربه، أو قائماً يدعو إلى عبادة وطاعة ربه، فكيف في سائر أموره وحالاته؟.

وأما الكثير من الآباء والأمهات، فإنّ أكبر همِّهِ ما يقول الناس، ولو على حساب مشاعر الطفل ورغباته، فيمنعُ الطفل من اللعب والجلوس عند باب المنزل خوفاً من كلام الناس، وإذا أراد الطفل الحديث مع الوالدين أو غيرهم في المجلس لا يُلتفت له، بل ويُطلَب منه السكوت خوفاً من الناس، وأنه يُخالف الآداب والعادات!، يريد الطفل أن يلبس لباساً يُعجبه، فتجيبه الأم: ماذا يقول الناس!.

فيتربى الابن على الخوف من الناس، ومن نقدهم وكلامهم، وتصبح شخصيته وثقته بنفسه ضعيفةً مهزوزة.

١٣ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان يُقبلهم ويشمُّهم ويضمُّهم، فهاهو ﷺ أَخَذَ ابنه إِبْرَاهِيم فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ. رواه البخاري[(١)]

وقال ﷺ عن الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ: **«هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»**.

---

(١) (١٣٠٣).

وتأملوا كيف شبَّههما ﷺ بالرَّيْحانة، والريحانةُ: كلُّ نبتةٍ طيبَةِ الرّائحة.

قال العلماء: وَجه التَّشْبِيه: أَنَّ الْوَلَدَ يُشَمُّ وَيُقَبَّلُ، فكأنَّهم مِنْ جُملَةِ الرَّياحين، لما يجده من الراحة النفسيَّة في تقبيلهم وضمِّهم إلى صدره، وشَمِّهِم كما يجد الإنسانُ راحته عند شمِّ الزهور والرياحين[١].

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ[٢] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ.

واشْتاق مرَّةً ﷺ إلى حفيده الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﵄، فَذهب إلى بيت ابنته فَاطِمَةَ ﵂، فجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِها، فَجعل يصرخ ويُنادي: **«أَثَمَّ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ»** ـ واللُّكَعُ هو الصَّغِيرُ ـ فَحَبَسَتْهُ فاطمةُ لِتهيِّئه وتُلْبِسَهُ وتُنظفه، فأقبل الحسن يَمْشِي ويَشْتَدُّ فَالْتَزَمَهُ ﷺ وعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ»**[٣].

هكذا علاقته ﷺ بالصغار والأطفال.

بل إنه ﷺ لم يكن يفعل ذلك مع الأطفال الصغار فحسب، بل ربما ضمّ واحتضن المراهق أيضاً، يقول أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ﵄: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّنا، ثُمَّ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»**. رواه البخاري[٤].

---

(١) عمدة القاري ١٦/ ٢٤٣، فتح الباري ٧/ ١١٠، منار القاري ٤/ ٢٦٩.
(٢) (٣٧٧٢).
(٣) رواه البخاري (٥٨٨٤)، (٢١٢٢).
(٤) (٦٠٠٣).

ومن المعلوم أن أُسَامَة كَانَ فِي حَيَاة النَّبِيّ ﷺ رَجُلاً كبيراً، بل أَمَّرَهُ عَلَى الْجَيْش الَّذِي يحتوي عَلَى عَدَد كَثِير مِنْ كِبَار الْمُسْلِمِينَ كَعُمَر، وكَانَ عمره عِنْدَ مَوْت النَّبِيّ ﷺ ما يُقارب العِشْرِينَ سَنَة، وأما الحسن فكان عمره حينها ثماني سنين؛ أي: أنه يكبره باثني عشر عاماً.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون ذَلِكَ وَقَعَ مِنْ النَّبِيّ ﷺ وَأُسَامَة مُرَاهِق وَالْحَسَن اِبْن سَنَتَيْنِ مَثَلاً وَيَكُون إِقْعَاده أُسَامَة فِي حِجْره لِسَبَبٍ اِقْتَضَى ذَلِكَ كَمَرَضٍ مَثَلاً أَصَابَ أُسَامَة، فَكَانَ النَّبِيّ ﷺ لِمَحَبَّتِهِ فِيهِ وَمَعَزَّته عِنْدَه يُمَرِّضهُ بِنَفْسِهِ، فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون أَقْعَدَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَة، وَجَاءَ الْحَسَن اِبْن اِبْنَته فَأَقْعَدَهُ عَلَى الْفَخِذ الْأُخْرَى وَقَالَ مُعْتَذِراً عَنْ ذَلِكَ: **«إِنِّي أُحِبّهُمَا»**. اهـ[١].

فهكذا كان ﷺ يُشبع الأطفال والمراهقين بحنانه وضمّه لهم، واحتضانه وإخباره بحبه لهم، فنشأ جيلٌ سويٌّ أخذ حقه من العطف والحب والرحمة، مع ما أخذه أيضاً من الدين والمعرفة والإيمان، ففتح الله بهم القلوب والديار، ونشر الله بهم الدين والأمن في سائر الأقطار.

وأما الكثير من الآباء والأمهات فقُبْلته لأبنائه تكون باردةً أو مُجاملة، دون شمٍّ وضمٍّ ورحمة، هذا إنْ قبَّله وشمَّه.

وبعضهم يظن أنَّ القبلةَ خاصةٌ بالصغير، أما إذا كبر قليلاً فيحرمه منها.

١٤ ـ الْـمُـربـي الأول ﷺ، كـان إذا نـهـى عـن شـيءٍ ولـم يَـجِـدِ

---

(١) الفتح ١٠/ ٥٣٤.

اسْتجابةً، وطُلب منه أنْ يتركهم يفعلون ما يرونه ويهوونه: يُرخي لهم الزمام، ويفتح لهم المجال، مع اعتقاده بصوابه وخطئهم، لكنَّها التربيةُ النبوية القائمةُ على الإقناع وإتاحة الفرصة للتجربة.

هذا، وقد زكاه ربُّه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه في لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣].

وزكاه في فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١].

وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥].

وزكاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ومع كلِّ هذا: هل كان يُلزم أتباعه وأصحابه برأيه دائماً وفي كلِّ شيء؟ وهو رسولٌ مُوحى إليه من الله تعالى، يأتيه الوحي صباح مساء؟ لا.

فهاهو ﷺ حينما حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يتمكن من هزيمتهم وإخضاعهم، حيث كانوا متحصنين في مكانٍ مُرتفعٍ، وكانوا يرمون بالسهام على الصحابة إذا اقتربوا من الحصن، فرأى ﷺ المصلحة له ولأصحابه أنْ يرجعوا ويتركوهم، رحمةً ورفقاً بأصحابه، فَقَالَ لهم بكلِّ وضوح: «**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ**». فَقَالَ أَصْحَابُهُ من الشباب والْمتحمسين: نَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَتِحْهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ**». فلم يُلزمهم برأيه مع أنه هو الصواب بلا ريب، فَغَدَوْا عَلَيْهِ فَأَصَابَتْهُمْ جِرَاحٌ شديدة، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مرةً ثانية: «**إِنَّا قَافِلُونَ**

غَداً». قَالَ الراوي: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. متفق عليه[(١)].

وهاهو ﷺ حينما نهاهم عن الوصال، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْماً، ثُمَّ يَوْماً، ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ، فَقَالَ: «**لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ**» كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا. متفق عليه[(٢)].

وهاهو ﷺ، يُشير على أصحابه يوم أحدٍ بأنْ يمكثوا في المدينة، وإذا جاء الكفار قاتلوهم وهم داخل المدينة، بل أمرهم بكلِّ وضوحٍ فقال: «**امْكُثُوا، فَإِنْ دَخَلَ الْقَوْمِ الْأَزِقَّةَ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ**»[(٣)]، وهذا هو الرأي السديد، والقول الرشيد، ومع ذلك قَالَ بعضُ الشباب والرجال المتحمسين للقتال: يَا نَبِيَّ الله كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ، وَأَبَى كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجَ، فَلَمَّا صَلَّى الْجُمُعَةَ وَانْصَرَفَ دَعَا بِاللَّأْمَةِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ.

وافقهم وانقاد لرغبتهم، مع علمه الأكيد، ويقينه الشديد بسداد رأيه، وخطأ رأيهم[(٤)].

ففي هذه الآثار النبوية الصحيحة: أعظم درسٍ للقادة والمربين والآباء أنهم إذا أَمَروا بأمرٍ فيه مصلحةٌ لمن تحتهم ثم طلبوا أنْ يعملوا بخلافه لرغبةٍ في نفوسهم وأصروا على ذلك أنْ يدعوهم وما أرادوا ـ ما لم يكن إثماً ـ، ليفسحوا المجال لهم بتجربةٍ يعرفون في نهايتها خطأ ما

(١) البخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (٤٧٢٠).
(٢) البخاري (٧٢٩٩)، ومسلم (٢٦٢١).
(٣) فتح الباري ١١/٣٧٢، وأصله في البخاري معلقاً، صحيح البخاري: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].
(٤) يُنظَر: البداية والنهاية ٥/٣٤٤.

فعلوه، فيرسخ في أذهانهم حرص الأب والمربي عليهم، وأنه لا يأمرهم أو ينهاهم إلا بما فيه مصلحةٌ راجحةٌ لهم.

وأما الكثير من الآباء والأمهات، فهم يُلزمون أولادهم بما يُقرِّرونه ويرونه، مع احتمال خطئهم، وصواب رأي أولادهم.

وخذ أمثلةً على ذلك: المنع بحزمٍ ودائماً من شرب المشروبات الغازية، أو الأكل من المطاعم، أو الذهاب مع الأصدقاء في رحلةٍ أو نزهة، أو إتاحة المجال لهم في اختيار نوع الملابس والهاتف وغير ذلك، أو الغياب من المدرسة لعدم رغبته في أحد الأيام، فالمنع المطلق من ذلك وعدم السماح له بأن يتخذ القرار الذي يراه ـ مع اعتقاد الأب أو الأم أنه خطأ ـ: سَيُولِّد فيه احتقاناً ضد والديه، واعتقاداً جازماً أنهم حجر عثرةٍ أمام طموحاته ورغباته وحرِّيَّته.

فعندما يكبر: سيجد نفسه على أتمِّ الاستعداد أنْ يُواجه أبويه بشراسةٍ إذا واجهوه بما كانوا يُواجهونه سابقاً من المنع والرفض، وسيفعل ما يحلو له في جوٍّ خالٍ من الرقيب والناصح والموجه.

ولو سمحوا له سابقاً بذلك، وفعل ما يُريدُه، وهو بين أيديهم، ويُسمعونه التوجيهات والنصائح، ويُخبرونه بمحبتهم له، وأنهم لا يقفون أمامه أبداً: لما حصل ما حصل.

١٥ ـ المُربي الأول ﷺ، كان يُخبرهم ويُصرِّح لهم بأنه يُحبهم، بل ويُبالغ في إظهار ذلك، ويُظهر لهم الفرح والسرور عند رؤيتهم، ويقوم إليهم أحياناً إذا رآهم.

ففي «الصحيحين»[1] أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى نِسَاءً وَصِبْيَاناً مُقْبِلِينَ مِنْ

(١) البخاري (٥١٨٠)، ومسلم (٢٥٠٨).

عُرْسٍ، فَقَامَ إليهم مُمْتَنّاً، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ»**.

قال الحافظ ابن حجر: قَوْلُهُ: «فَقَامَ مُمْتَنّاً»؛ أَيْ: قَامَ إِلَيْهِمْ مُسْرِعاً مُشْتَدّاً فِي ذَلِكَ فَرِحاً بِهِمْ. اهـ كلامه[1].

ما شعور هؤلاء الصبيان والنَّبِيُّ ﷺ يقوم إليهم ويستقبلهم بفرحٍ وابتهاج، ثم يقول لهم بكلِّ صراحة: **«اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ»**؟.

وأما الكثير من الآباء والأمهات، فأصعب شيءٍ عندهم أنْ يقولوا لأبنائهم: نحن نحبكم، ويجدون غضاضةً في قولها، وتردُّداً في نطقها.

وتجد اسْتقبالهم وحفاوتهم لأبنائهم مُنعدمةً أو باردة.

١٦ ـ الْمُربي الأول ﷺ، كان يُعاملهم بمُنتهى الرقة، وغاية الرحمة، ولْنستمع إلى ما باح به مجموعةٌ من شباب الصحابة رضي الله عنهم عن حبيبهم ومُربيهم ﷺ، يقول مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَقِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: **«ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**. رواه البخاري[2].

تأملوا هذه العبارة: رَقيقاً رَحِيماً، ولو استخدم بعضنا هذه العبارة أو اتصف بها لانْتابنا شعورٌ بأنه يفتقد إلى الحزم والشخصية القوية، وكأن الرقة واللين والعطف تُضاد الحزم والشخصية القوية والتربية الجادة!.

---

(١) فتح الباري ٩/٣٠٨.

(٢) (٦٠٠٨).

ومن أمثلة رقَّته العجيبة، ومراعاته لمشاعر الآخرين الغريبة أَنَّه ﷺ أُتِي بِصبيٍّ رضيع، فَجَعَلَ يُقَبِّلُهُ كعادته ويُداعبه، وَقد أجلسه فِي حِجْرِهِ وحضنه فَبَالَ الصبي عليه، فبادر أهلُه ليأخذوه لئلا يتلوث ببوله، فنهاهم عن ذلك وقَالَ: **«لَا تَقْطَعُوا دِرَّةُ»**، فَتَرَكَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ بَوْلِهِ[1].

يتركه ﷺ يبول عليه؛ لئلا يُهيِّجه ويُوحشه، ولئلا يُكدِّر خاطره إذا انقطع عن إكمال قضاء حاجته.

فإذا كان يُراعي مشاعر طفلٍ رضيع، فلا تسل عن مُراعاته لمشاعر الشباب والكبار، ومُراعاته لمشاعر زوجاته وأصحابه.

نسأل الله تعالى أن يُصلح أبناءنا، وأن يُعيننا على القيام بحقهم، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على رسوله وآله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٦٩٩)، وحسنه الحافظ في الفتح ١/ ٣٥٠.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

• القسم الثاني •

العلاج

الموضوع | الصفحة

تم الانتهاء منه يوم الثلاثاء ١٤٣٤/٤/٧

أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦